عذرية الشعر فى الأندلس

الباحثة

فوزية عبدالله العقيلى

محاضر بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

المملكة العربية السعودية

عذرية الشعر فى الأندلس

الباحثة
فوزية عبدالله العقيلى
محاضر بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة
المملكة العربية السعودية

نشأ الحب العفيف فى البادية بين خيامها، ومضاربها، وحول مساقط الماء فيها، ظللته سماؤها، وسرت به إبلها وركبانها، حتى أصبح شعرا ملأ الدنيا حبا وعذوبة وصفاء.

تغنى فيه الشعراء بمشاعر الحب ولوعته، ووصفوا ما وجدوه من ألم وحرقة وأسى للبعد، وشكوى من الصد والهجر، وترقب للوصل وتمنيه، وخضوع للمحبوبة وتلذذ بهذا الخضوع، وقد جرت تسمية هذا الحب بالعذري، وذلك نسبة إلى قبيلة عذرة فى بادية الحجاز، التى اشتهرت بالحب والجمال ((والجمال فى عذرة والعشق كثير)) (١).

ولذا سمعنا عن جميل وبثينة، وعروة وعفراء، وقيس وليلى، وغيرهم ممن سموا بالعشاق(٢)**، و((هؤلاء فئة عاشت للحب، وماتت على الحب ولم يكن فى حياتها أمر ذو بال غير الحب))** (٣).

لقد نشأ هذا الحب فى البادية، وما كان له أن ينشأ فى غيرها، بعيدا عن الأمور السياسية التى شغلت المدن، أو اللهو والعبث الذى شغل أبناءها بما أغدق عليهم من أموال(٤) .

---

(١) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة، ص١٠٠ .
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣١٠، ص٤٩٤ .
(٣) الحب العذرى، نشأته وتطوره، أحمد عبدالستار الجوارى، ص٤٨
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٥٢ .

ولأنه نشأ فى البادية فقد استمد من صحرائها نقاءه وصفاءه، ولذا ابتعد هذا الشعر عن المادية المحسوسة وتسامى عنها ((فالحب العذرى صورة مصفاة مهذبة من صور الحب تسمو على لذة الحس وتتعالى عن شهوة الجسد)) (١)، وقد أخذ هذا الحب من الصحراء أيضا قوتها وبأسها فعرف أصحابه بقوة العشق والهوى، ولذا جاز للجاحظ أن يسمى هذا العشق ((عشق الأعراب)) (٢)، لقد توهج هذا اللون من الحب أو عشق الأعراب، وارتسمت معالمه تقريبا فى بوادى نجد والحجاز، فى العصر الأموى، حيث كثر النسيب البدوى العفيف، ولكن ذلك لا يعنى أن الجاهليين لم يعرفوه ((وبحسبنا الآن أن نعلم أن هذا النوع من العفة عرفه الجاهليون)) (٣).

يقول الحادرة(٤):

إنا نعف فلا نريب حليفنا ∴ ونكف شح نفوسنا فى المطمع

ولم يقتصر الشعر الجاهلى فى المرأة على الأوصاف المادية المحسوسة، ولكن الشعراء تغنوا أيضا بالصفات الروحية المعنوية التى أعجبتهم فيها فـ((مثلما توقف الشعراء الجاهليون عند تجسيد الجمال الخارجى، توقفوا أيضا عند الجمال الروحى الداخلى، على

(١) المرجع السابق ، ص١٣ .

(٢) يقول الجاحظ: "رجلان من الناس لا يعشقون عشق الأعراب أحدهما الفقير المدقع فإن قلبه يشغله عن التوغل فيه ، وبلوغ أقصاه، والملك الضخم الشأن لأن فى الرياسة الكبرى وفى جواز الأمر والنهى، وفى ملك رقاب الأمم ما يشغل قوى العقل عن التوغل فى الحب، والاحتراف فى العشق" من مجموعة رسائل الجاحظ، رسالة فى النساء ، ص٢٠٠ .

(٣) الشعر الأندلسى، بحث فى تطوره وخصائصه، جارثيا جومث، ص٥٩ .

(٤) ديوان الحادرة، إملاء اليزيدى عن الأصمعى، ص٥١ .

الرغم من مساحته الصغرى بالنسبة إلى المستوى الأول مثل: الخجل، والعفة، والكبرياء، والهدوء، وكانوا دائما يربطون بين جمال الخارج والداخل بغية رسم لوحة متكاملة لذلك الجميل)) [١] فقد وصف الشعراء الجاهليون جمال المرأة المعنوى ٠

ومن ذلك قول الشنفرى الأزدى[٢]:

فيا جارتى وأنت غير مليمة ∴ إذا ذكرت ولا بذات تقلت
لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها ∴ إذا ما مشت ولا بذات تلفت

إلى آخر القصيدة[٣]، ولم يذكر فى هذا الشعر شيئا من صفاتها المادية، بل وصف حياءها، وعفتها، وكرمها وإن كان أجمل وصفها بالحسن فى بيته الذى يقول فيه [٤] :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ∴ فلو جن إنسان من الحسن جنت

لذا، فإنه من غير المنصف القول بحسية الشعراء الجاهليين، ومن غير المنصف أيضا القول إن الشعراء أمثال امرئ القيس، أو النابغة، أو الأعشى ((كانوا يصفون النساء كما يصفون الإبل، وقلما

---

(١) بحوث جمالية فى الشعر الجاهلى، د. عبدالله العساف، ص٦٥ ٠
(٢) المفضليات، الضبى، ص٢٠٠ ٠
وتقلت: من القلاء، أى إنها لا توصف بهذا، ولا تلام على قبيح، من شرح الأنبارى على المفضليات، ص٢٠٠ ٠
(٣) وفيها:
تبيت بعيد النوم تهدى غبوقها ∴ لجارتها إذا الهدية قلت
تحل بمنجاة من اللوم بيتها ∴ إذا ما بيوت بالمذمة حلت
كأن لها فى الأرض نسيا تقصه ∴ على أمها وإن تكلمك تبلت
أميمة لا يخزى ثناها حليلها ∴ إذا ذكر النسوان عفت وجلت
إذا هو أمسى آب قرة عينه ∴ مآب السعيد لم يسل أين ضلت
فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ∴ فلو جن إنسان من الحسن جنت
المفضليات ، الضبى ، ص٢٠٠ ٠
(٤) المفضليات ، الضبى، ص٢٠٢ ٠

نجد عندهم عناية بالعاطفة، أو حرصا على تمثيلها، فإن وجدت عندهم هذه العناية بالعاطفة، لم تلبث أن تزدرى هذه العاطفة ازدراء، لأنها كانت عاطفة مادية غليظة إن صح التعبير)) [١].

وقد وجدنا عند شاعر مثل الأعشى يجمع فى وصف المرأة بالظبية عناصر معنوية من أبرزها: الرقة، والحنان، والأمومة، والرعاية ((والأعشى من أشد الشعراء إيغالا فى الأوصاف الحسية للمرأة، وأن مطلوبه منها لهو وفتوة وصبوة، ومع ذلك يجرى هذا العرق النفيس فى شعره، ونحن نهمله ولم نثبت معناه مع ظهوره ظهورا واضحا، ويدخل فى هذا كل ما يشير إلى الأمومة من مثل ((مغزلة، وأم غزال، وترعى أغن .. إلى آخره)) [٢] ، ونرى مثل هذه الصفات المعنوية الجميلة للمرأة فى قول الأعشى أيضا[٣]:

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ∴ ولا تراها لسر الجار تغتسل

ثم إن الشعر رموز وإشارات ولمحات ((ولهذا نرى أن كل ما يقول الشاعر فى شعره من مغامرات فى هذا الباب لا يصح أن يؤخذ منه شىء على أنه حقيقة، ولو كان الشاعر قد خالط كما وصف، لما

---

(١) حديث الأربعاء، د/ طه حسين، ج١، ص٢٢٥ .

(٢) دراسة فى البلاغة والشعر ، د/ محمد أبوموسى، ص٢٥٦ .
ويرى بعض الباحثين فى قول الأعشى:

وماروضةمنرياضالحزنمعشبة ∴ خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحكالشمسمنهاكوكبشرق ∴ مؤزر بنعيم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة ∴ ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل

أن فى هذه الأبيات "صورا جمالية خلقية تضفى على الجمال الخارجى، جمالا معنويا يؤثر فى النفس، ويحقق لهريرة الاكتمال .. وقد فطن الأعشى إلى ذلك الجمال الخفى الذى يكتمل به الجمال الإنسانى فراح يرسم صورة المرأة الجسد، والفعل" . الأعشى الكبير، شاعر اللذة والحياة، دراسة د/ مفيد قميحة ص٦٨

(٣) ديوان الأعشى، ص٢٧٩ .

وجد فى نفسه شعرا يتوقد باللوعة التى توشك أن يتوقد بها الشعر نفسه، وهذا وجه من معنى قولهم: أعذب الشعر أكذبه)) [1].

وقد وجدنا شعرا جاهليا يتوقد بهذه اللوعة، ويظهر فيه جمال البوح وحلو التذلل إذ يقول المرقش الأكبر، يصف شدة شوقه وولعه بأسماء[2] :

أغالبك القلب اللجوج صبابة ∴ وشوقا إلى أسماء أم أنت غالبه؟
يهيم ولا يعيا بأسماء قلبه ∴ كذاك الهوى إمراره وعواقبه

إن الزعم الذى ((يلهج به بعض المعاصرين من نسبة قدماء الشعراء العرب إلى أنهم ماديون فى مذهب الغزل، باطل بحق، وأحسب أن هؤلاء أتوا من حيث وجدوا أوصافا للشحم واللحم، ولا كل الأجساد التى وصفت تجرى على معنى إرادة اللذة، ثم إن القرآن الكريم لم يكن ليخاطب العرب فيمتن عليهم فيما امتن عليهم به من آلائه، بنعم المودة والرحمة فى الزواج، لو لم يكن يعلمهم مدركين لهذا المعنى، وإنما كان يخاطبهم بما يعلمون ويدركون، وليست الرحمة والمودة لعمرى مما يوسم بأنه مادى، وقد عبروا عنها فى الشعر كأصدق ما يكون التعبير))[3]، ونحن حين نذكر أن الشعر العفيف عرفه الجاهليون، لا يفوتنا أن نؤكد أن هذا النسيب قد نما وترعرع فى البيئات البدوية فى العصر الأموى ، وتحددت معالمه

(١) دراسة فى البلاغة والشعر، د/ محمد أبوموسى، ص٢٩٩ .
(٢) ديوان المرقشين، ص٤٣، ويقول فيها:
أيلحى امرؤ فى حب أسماء قد نأى ∴ بغمز من الواشين وازور جانبه
وأسماء هم النفس إن كنت عالما ∴ وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه
إذا ذكرتها النفس ظلت كأننى ∴ يزعزعنى قفقاف ورد وصالبه
"والمرقش الأكبر اشتهر بحبه العظيم لأسماء ابنة عمه عوف، فعاش ومات من أجل هذا الحب، وكان من المتيمين، وله فيها أشعار خالدة تنزف شوقا وأسى" ديوان المرقشين،ص١٠، المقدمة.
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، ج٣ ص٣٠٩ .

وملامحه فى هذا العصر، إذ ارتبط مسماه بقبيلة عذرة، ولكننا نقول؛ إنه إذا كان الشعراء منذ الجاهلية قد عرفوا، هذا الحب العفيف وخبروه ــ ولم تكن رقة الإسلام قد طوعت القلوب فعصفت بها رياح هذا الحب فى العصر الأموى ــ وإذا كانت الصحراء القاسية قد أثمرت هوى يذوب رقة وأبدعت شعرا تغنى فيه أصحابه بتأجج المشاعر وصفائها وعمقها ونقائها، فلا عجب إذا أن يتغنى بهذا الحب شعراء عاشوا فى أحضان الحضارة والترف، وقلبتهم أيدى النعمة، فقد ((تقدم ذلك الحب العذرى من الصحراء، ليدخل قصور الخلفاء، فعباس بن الأحنف فى بلاط هارون الرشيد عام ٨٠٠م، لا يختلف كثيرا عن جميل بثينة)) [١]، لأن العاطفة التى يتناولون التعبير عنها واحدة فـ((التشابه فى نماذج القول العاطفى أبدا يكون مستمدا من التشابه العاطفى بين الناس، ومرميا فيه إلى تشخيص مثل أعلى، تضمحل معه أوجه الخلاف بين التجارب الفردية، والشاعر وهو فرد يعمد إلى أن تتحد تجربته الخاصة مع المثل الأعلى النموذجى، فعلى مقدار صدقه وحرارته ومقدرته على البيان، تكون معانى الصدق والحرارة والإبانة فى النموذج الذى يعرضه)) [٢]، فلا يعنى ترف الحياة بالضرورة ترفا للمشاعر، وغنى عن حقيقة الحب الصادق، ولوعته، وألمه، ولذته، فقد وضع ابن حزم كتابه طوق الحمامة وهو من أسرة عريقة فى الأندلس، ذات ثراء وجاه ذكر فيه علامات الحب ولوعاته وما يكابده المحبون فيه[٣]، ((وعلى أى حال، فإن الأندلس،

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص٥٢١ .
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، ج٣، ص٢٨٩ .
(٣) كان ابن حزم من أسرة قريبة من السلطان، وتولى أبوه الوزارة فى آخر عهد الأمويين الأول بالأندلس، فنشأ فى بيت الرفه والنعيم، وتولى هو أيضا الوزارة، فوزر لعبدالرحمن الخامس المسمى=

عرفت الشعر المادى المحسوس، كما عرفت الشعر العذرى، كما لمحنا بعض صوره فى الشوق، والسقم والهجران، وإذا كان الأول كثيرا غالبا، وكان لابد أن ينصرف أصحاب اللون العذرى عن وصف المرأة وصفا ماديا، وإنما حام غزلهم حول معانى الصدق فى الحب، والصبر على الهجران، والشكوى من الشوق، لذلك جاء غزلهم تعبيرا عن عاطفة ذاتية، وانفعالات شخصية، تشع عن صدق الشعور ورقة الاستعطاف، وشكوى البعد، وغالبا ما كان يتسم بلغة الشعر القديم كما نرى فى قول قاضى الجماعة يحيى الليث:

نازح الدار نبابى واغترب ∴ ورماه الدهر رشقا من كثب
بعدت عن دار ليلى داره ∴ وهو فى حبل هواه مضطرب
فرجت نفسى أن تشفى بكم ∴ فرحة فى الحب شيبت بكرب

فاللفظ (نازح الدار) و(بنا) والاسم (دار ليلى) من استعمالات الشعر المتداولة فى فن الغزل منذ القدم)) [1].

فقد انتقل هذا النسيب البدوى بكل معالمه وملامحه لحياة الحضارة والترف، التى قد تسود فيها المادية، وقد يضعف فيها الشعور بالحب الحقيقى تجاه غيره من أنواع الحب، أو بالأحرى المتعة، ولكن الأندلسيين عرفوا هذا اللون من الحب، ووطئت أخفاف هذا النسيب بساط الأمراء، وبلاطات الحكام، لأن أمر الشعر فى مجمله لا يخضع لقسمة دقيقة بين البوادى والحواضر، أو بين الترف وشظف العيش، لارتباطه بالشعور، ولارتباطه فى النسيب بأسمى العواطف الإنسانية وهى الحب.

=بالمستظهر الذى بويع بالخلافة فى رمضان سنة ٤١٤هـ، وكانت سن ابن حزم إذ ذاك نحو الثلاثين.
انظر: طوق الحمامة، المقدمة ص د .

(١) اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى د/نافع محمود، ص٢٠٦، والأبيات فى يتيمة الدهر،الثعالبى،ج٢ص٦٢ .

ولذا؛ فإنه عندما قسم طه حسين الغزل، فذكر أن عفيفه كان فى البادية، والقسم الآخر وهو الغزل المادى فكان فى الحاضرة[١]، فإن هذا وإن صدق فى معظمه على الغزل فى العصر الأموى، إلا أننا نجد غزلا عذريا من حضرى، وغزلا حسيا من بدوى، فالغزل العذرى، وإن صح أنه يعبرعن الحياة البدوية، وصورها، إلا أن هذا لا يعنى أن الحضر لم يعرفوه، وفى الشعر الأندلسى ((لم ينفرد بالغزل الأنثوى شاعر واحد ويتفرغ له، وإنما كان الشعراء جميعا يعالجونه منفردا، أو مزدوجا، حسيا، أو عفيفا، لأنه أخف الأغراض وأشفها، وأقرب الفنون إلى النفس الإنسانية، وأكثرها التصاقا بها، ومن هنا كان ديوان الغزل الأندلسى، ضخما كبيرا، ينطوى على عدد غزير من المقطعات والقصائد فى هذا المضمار)) [٢] .

ولذا فإنه من غير الصحيح كما قال غومث: أن يرمى العرب فى الأندلس بالحسية الهمجية، وهم الذين أقاموا قرونا ثلاثة يتغنون بالحب العذرى، ويحللونه، ويرسمون له المناهج[٣]، وكان الشعراء فى الأندلس على وعى تام بمدلول الهوى العذرى ، كما عبر عنه غير شاعر، ومنهم ابن مطرف الغرناطى الذى يقول[٤]:

أنا صب كما تشاء تهوى ∴ شاعر ماجد كريم جواد
أرضعتنى العراق ثدى هواها ∴ وغذتنى بظرفها بغداد
سنة سنها قديما جميل ∴ وأتى المحدثون مثلى فزادوا

(١) انظر: حديث الأربعاء، د/ طه حسين ج١ ص١٨٨ .
(٢) الشعر الأندلسى فى عهد المرابطين والموحدين ، د/محمد مجيد السعيد، ص١٥٥ .
(٣) انظر: الشعر الأندلسى بحث فى تطوره وخصائصه، جارثيا جومث، ص٦١ .
(٤) نفح الطيب، المقرى، ج٢ ص٦٠٩ .

فالشعراء العرب فى الأندلس لجأوا إلى البادية بكل صورها وخيالاتها للتعبير عن حب ملك عليهم قلوبهم، وكيف لا يكون ذلك وهم قد انتموا فكريا وثقافيا وشعوريا لأسلافهم البدو، ولذا حق للشاعر أن يتغنى بعذرية الحب، وربما فعل ذلك رغبة منه فى تأصيل معنى هذا الشعور وقوته، ولذا لم يجد الأندلسى غضاضة فى أن يحمل القصيدة ما شاء من بداوة المشاعر، فيأخذ من الإبل حنينها، ويجعل من الصحراء الممتدة مسرحا لها، وقد صرح بذلك ابن خفاجة فى خطبة ديوانه إذ رأى أنه ليس لأحد أن ينعى ما يلم به من طريقة الصورى، أو يحتذيه من شعر مهيار الديلمى[١] .

ولذا؛ فإننا فى الأندلس ((إلى جانب الأوصاف التى يحتل منها ما هو حسى مساحة واسعة، نجد مقطوعات أخرى ليست بأقل عددا، نلحظ خلالها إجلالا حقيقيا للمرأة لا جدال فيه، ونعتقد أن هذه الاندفاعات الغنائية، وفيها لا يكاد الهوى الحسى يطل برأسه، لا توجه فحسب إلى المرأة التى جعل منها وضعها رقيقة مجرد جارية تخضع لكل نزوات سيدها، وقد يكون فى كل ما يقال شىء من الخيال، وهو ما لا شك فيه، أما القول بأن هذه العواطف السامية لم يكن لها أساس فى الواقع، فأمر يبدو بعيد الاحتمال)) [٢] .

وبعد؛ فإننا سنحاول هنا أن نرصد أهم معالم هذا الحب العذرى فى الشعر الأندلسى، ونتتبع ــ قدر المستطاع ــ طريقة الأندلسيين فى التعبير عن هذا الحب، ومن أهم هذه المعالم: العفة والصون؛ لأنه ((حب ليس له غاية يسعى إليها حتى إذا بلغها خمد سعيره وانطفأت جذوته)) [٣]، والبدوى بطبعه عفيف، ولذا كان هذا التغنى بالعفة من

(١) انظر: ديوان ابن خفاجة، خطبة الديوان، ص١١ .
(٢) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٥١ .
(٣) الحب العذرى، نشأته وتطوره، أحمد الجوارى، ص٥٠ .

علامات المروءة فى الرجل، فافتخروا بهذه الصفة منذ القدم إذ يقول عنترة[١]:

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى ∴ حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤ سمح الخليقة ماجد ∴ لا أتبع النفس اللجوج هواها

ويقوى معنى العفة، إذا كان الشاعر قد حرص عليه مع من يحب، وجعلته هذه العفة يقنع بالنظرة دون غيرها وهو المعنى الذى عبر عنه الشاعر الأندلسى ابن زمرك من قصيدة بدوية، ذكر فيها (البارق النجدى)[٢] و(اللوى)[٣] و(الأظعان)[٤]، و(العذيب وبارق)[٥] و(سكان رامة)[٦] و(ليلى)[٧] و(أخفاف المطى)[٨]، يقول[٩]:

تقضيت منها فوق ما أحسب المنى ∴ وبرد عفافى صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفى نجيله ∴ وشكوى كما أرفض الجمان من العقد

وفى أبيات ابن زمرك لمحة من قول جميل بثينة[١٠]:

وإنى لأرضى من بثينة بالذى ∴ لو أبصره الواشى لقرت بلابله
بلا، وبأن لا أستطيع وبالمنى ∴ وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى ∴ أواخره لا نلتقى وأوائله

(١) ديوان عنترة، ص٢٠٨ .
(٢) ديوان ابن زمرك، ص٣٧٩ .
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٧) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٨) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٩) المصدر السابق، ص٣٨١ .
(١٠) ديوان جميل بثينة، ص٢٣٢ .

ولذا، فإنه فى الأندلس ((يصادف الإنسان بين ما أنشأ العرب من شعر الغزل أبياتا تروعه منها حالة نفسية غريبة من العفة، يعسر تحديد ماهيتها)) [١].

يقول ابن خفاجة مفتخرا بهذه الصفة[٢]:

فإننى والعفاف من شيمى ∴ آبى الدنايا وأعشق الحسنا

ويقول كذلك لسان الدين بن الخطيب[٣]:

تهش لنا البدور بكل خدر ∴ وتهوانا الشموس بكل كلة
ويمرضنا العفاف فكم عليل ∴ وما غير الهوى والكتم علة

وابن الخطيب يذكر فى قصيدة أخرى أن هذه العفة من (عهود الهوى العذرى) إذ يقول[٤]:

سقى الله عهد القرب أفضل ما سقى ∴ عهود الهوى العذرى من صوب عهده

وفيها يقول[٥]:

فبايعت سلطان العفاف ولم أجز ∴ على فكرتى إلا الوفاء بعهده

ويقول ابن الأبار مفتخرا بهذا العفاف، وإن كان قد ذكر المشيب أيضا فى نهيه له عن اللهو[٦]:

لولا قديم من عفافى تالد ∴ وطريف شيب قد ألم حديث
لركضت من خيل الشباب معارها ∴ ولكان لى ولمن هويت حديث

ونلمس فى هذين البيتين معنى قول زهير بن أبىسلمى[٧]:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ∴ وعرى أفراس الصبا ورواحله

أى (ترك الصبا وترك الركوب فيه) [٨].

---

(١) الشعر الأندلسى،بحث فى تطوره وخصائصه،غارثيا غومث،ص٥٩ .
(٢) ديوان ابن خفاجة، ص٢٢٢ .
(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج٢ ، ص٥٢٣ .
(٤) المصدر السابق، ج١ ، ص٢٨٦ .
(٥) المصدر السابق، ج١، ص٢٨٧ .
(٦) ديوان ابن الآبار، ص١٠٩ .
(٧) ديوان زهير بن أبى سلمى، شرح ثعلب، ص١١٣ .
(٨) المرجع السابق، من شرح ثعلب على الديوان، الصفحة نفسها.

وزهير يقصد أن المشيب كان ناهيا له عن اللهو، ولذا قال (صحا القلب)، أما ابن الآبار فقد جمع بين الشيب والعفاف فى نهيهما له عن اللهو٠

وكثيرا ما يصادفنا فى النسيب الأندلسى، تصوير هذه العفة حين يخلو المحب بمن يهواه دون رقبة، ولكنه يتخذ من عفافه وتصونه رقيبا ((ويجب أن نعترف بأن الكثيرين منهم كانوا يرون أن المتعة الحقيقية الوحيدة التى يبحثون عنها هى التمتع بحضور المحبوب، وهذه العفة وهى الملمح الوحيد الدال على احترام الرجل للمرأة التى يفكر فيها، نجدها موقفا طبيعيا عند بعض شعرائنا الأندلسيين)) [١] ٠

وفى ذلك يقول ابن زمرك[٢] :

خلوت بمن أهواه من غير رقبة ∴ ولكن عفافى لم أكن عنه خاليا

وهى قصيدة يذكر فيها أيضا (الهوى العذرى) [٣]:

وأذكرنى ثغرا ظمئت لورده ∴ ولا والهوى العذرى ما كنت ناسيا

وفى هذه القصيدة يذكر أيضا (العذيب وبارق) [٤] ، و(عيون السرب) [٥] ٠

وينحو الشعراء فى ذلك منحى قصصيا، فى تأكيد معنى العفة، فيذكر الشاعر أنه انفرد بالمحبوبة وتعاطيا عذب الحديث، ولكن

(١) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧٠ ٠
(٢) ديوان ابن زمرك، ص٥٢٠ ٠
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٥) المصدر السابق، ص٥٢١ ٠

عفافه أبى عليه إلا أن يصونها، وفى هذا المعنى يقول يوسف الثالث[١] : (مانعنى صونى أن ألثمها) ٠

وهى قصيدة يذكر فيها أن هذا العفاف (شيمة عذرية)، يقول[٢]:

هـا إنهـا لشـيمة عذريـة ∴ عنهـا قبـول العـذر للمعتـذر

وفيها يحشد كثيرا من المعطيات البدوية : سقيا الحمى ، الأظعان، وحى ليلى ، والصحراء، وسهام ظباء رامه[٣] :

وكـم رمـت رامتـه يـوم النـوى ∴ بأسـهم مـن التفـات النظـر

وقد وجدنا فيما سبق أن ابن الخطيب يذكر (عهود الهوى العذرى) [٤] ويذكر العفاف ويسميه سلطانا (سلطان العفاف) [٥] وابن زمرك يذكر (العفاف) [٦] و(الهوى العذرى) [٧] وكذلك يوسف الثالث حين ذكر معنى العفاف والشيمة العذرية[٨] ، وقد وجدنا فى هذه الأمثلة ربطا قويا بين المعنيين، معنى العذرية، ومعنى العفاف، وفيه قدر كبير من التمثل بالقيم البدوية فى مواقف العاطفة والحب، وقد وصف هنرى بيريس هذا العفاف بأنه ((احترام فروسى للمرأة)[٩] أو نوع من ((الحب المهذب)) [١٠] ، وهو معنى الفروسية البدوية المتحدرة إلى الأندلس من خلال الحب العذرى وشعره وقصصه، ولذا ((لم يتردد ستندال فى سفره عن الغرام من نسبة سائر أدب الفروسية

(١) ديوان يوسف الثالث، ص٨٥ ٠
(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٤) انظر : ديوان لسان الدين الخطيب، ج١، ص٢٨٦ ٠
(٥) انظر: المصدر السابق، الجزء نفسه، ص٢٨٧ ٠
(٦) انظر: ديوان ابن زمرك، ص٥٢٠ ٠
(٧) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها ٠
(٨) انظر: ديوان يوسف الثالث، ص٨٥ ٠
(٩) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧١ ٠
(١٠) المرجع السابق، الصفحة نفسها٠

والعشق إلى العرب، وأن أصوله فى مواسم الحج، إذ تلتقى الأفواج على صفاء العبادة وضبط عواطف القلوب عند الهوى والشهوات))[١].

ويمضى الشاعر الأندلسى مؤكدا معنى العفة حين يذكر أنه رجع عن وصال المحبوبة عفة وحياء، لا خوفا من أهلها الحريصين عليها، وفيه معنى الرعاية والخوف على المرأة وحمايتها، إذ يقول ابن الآبار[٢]:

إذا زرتها لاقيت حجبا من القنا ∴ وبيض الظبى تحمى البراقع والحجبا
فأرجع أدراجى ولو شئت خاض بى ∴ لقبتها[٣] طرفى جنابتها القبا[٤]
وما ذاك جبنا بل حياء وعفة ∴ من الحى أن يدروا بمن شغفنى حبا

وفى وصف لمغالبة النفس هواها يقول ابن سهل الأندلسى[٥]:

عزم الغرام على فى تقبيله ∴ فجعلت أبدى الطوع عن عزماته
وأبى عفافى أن أقبل ثغره ∴ والقلب مطوى على جمراته
فأعجب لملتهب الجوانح غلة ∴ يشكو الظما والماء فى لهواته

وفى هذه الأبيات نلمس تمدحا بسمو الأخلاق، والقدرة على التحكم فى النفس، وما يتطلبه ذلك من قوة نفسية إذ نجد ((إظهار الصبابة والصدق فيها مع العفة التى تذود الرغبات ولا تزعم أنها تتسامى فوقها، ومن أجل هذا نجد اللوعة عندهم أقوى وأحر))[٦]، والشاعر الأندلسى حين يذكر هذه العفة فى سياق قدرته على ما

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، ج٤ ص٤٤٨ ٠
(٢) ديوان ابن الآبار ، ص٦٨ ٠
(٣) القبة من الخيام بيت صغير مستدير من بيوت العرب، اللسان، مادة (قبب) ٠
(٤) القبا: يطلق على الفرس الضامر، اللسان: مادة (قبب)٠
(٥) ديوان ابن سهل، ص٣٤٩، وقد ذكر المحقق د/ إحسان عباس أن الأبيات نسبت أيضا إلى أبى بحر صفوان بن إدريس ٠
(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، ج٣ ، ص١٨١ ٠

يريد، إنما يؤكد قوته النفسية، ومروءته، مع عدم التخلى عن واقع الرغبة، فهو يدافعها فى نفسه ولا يتعالى عليها فهذا الشعر ((من صنف الغرام البدوى الذى يفرض العفاف على أصحابه وازع المروءة والأمانة والصون والحصانة)) [١] ، وهو المعنى الذى ذكره المتنبى فى معرض فخره بقوته النفسية وعفافه مع القدرة حين قال[٢]:

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ∴ ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وليس فى توقير الشاعر لمن يحب أعلى مرتبة من ذلك، وقوله (عن ثوبها) كلمة بالغة فى وصف مقدار هذا العفاف، فهو يرد يده عن الثوب أن تلمسه، فكيف بسواه، واحترس المتنبى بقوله (وهو قادر) فى بيان أنه يستطيع ذلك، وأن ما يمنعه عنها قوته وقدرته على نفسه، ويبالغ المتنبى فى إظهار مقدار هذه العفة ، وأنه قادر عليها حتى فى المنام، فجاء (بالطيف) وكيف عصى الهوى معه، فى مجانسة لطيفة بين القدرة والرقاد، (قادر) (راقد) ، وقد حاول أن يلم بهذا المعنى عند أبى الطيب، الشاعر الأندلسى أحمد بن فرج الجيانى (ت: سنة ٢٦٦هـ) مع فرق كبير بين الكلامين فقال[٣]:

بإيهما أنا فى الشكر بادى ∴ أشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى لى فازدهى أملى ولكن ∴ عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن ∴ جريت من العفاف على اعتياد

ونلاحظ فى النسيب العذرى الأندلسى الذى يذكر فيه أصحابه العفاف، مثل قول ابن زمرك[٤]:

(ولكن عفافى لم أكن عنه خاليا)

---

(١) المرجع السابق ، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) شرح ديوان المتنبى ، ج١، ص٣٩٠ .
(٣) الحدائق والجنان، أحمد بن فرج الجيانى، ص٢٤ .
(٤) ديوان ابن زمرك، ص٥٢٠ .

ويوسف الثالث[١]:

(مـــانعنى صـــونى أن ألثمهـــا)

وابن سهل[٢]:

(وأبـى عفـافى أن أقبـل ثغـره)

أن فى تأكيد الشاعر على عفافه مدحا لذاته بالقوة ، وبالقـدرة على التحكم فى النفس والتمتع بخلال الخير، وقد سن العذريون هذه السنة فى شعرهم، يقول جميل بثينة[٣]:

لا والـذى تسـجد الجبـاه لـه ∴ مـــالى بمـــا دون ثوبهـــا خـــبر
ولا يفيهـــا ولا هممـــت بـــه ∴ مـــا كـــان إلا الحـــديث والنظـــر

ولكن الملمح الذى وجدناه فى النسيب العذرى الأندلسى، هـو فرق فى التناول غير ظاهر بقوة، يكاد يجعل هذا الشعر فـى مسـافة وسط بين شعر الفخر وشعر النسيب، حيث تغنـى معظـم الشـعراء الأندلسيين بعفتهم هم دون محبوباتهم، وهذا بخـلاف شـعر جميـل وقيس وكثير عزة الذى يقول[٤]:

صـفوح فمـا تلقـاك إلا بخيلـة ∴ فمـن مـل منهـا ذلـك الوصـل ملـت

وهو أيضا يقول[٥]:

قضـى كـل ذى ديـن وعـزة خلـة ∴ لـه لم تنلـه فهـو عطشـان قـامح[٦]

---

(١) ديوان يوسف الثالث، ص٨٥ .
(٢) ديوان ابن سهل، ص٣٤٩ .
(٣) ديوان جميل بثينة، ص٧٧ .
(٤) ديوان كثير عزة ، ص٥٥ .
(٥) ديوان كثيرة عزة ، ص٥٥ .
(٦) قامح: القامح من الإبل الذى اشتد عطشه حتى فتر لـذلك فتـورا شديدا . اللسان : مادة (قمح) .

وله أيضا[١] :

فأقسم لو أتيت البحر يوما ∴ لأشرب ما سقتنى من بلال[٢]

ويقول[٣]:

بخلت فكان البخل منك سجية ∴ فليتك ذو لونين يعطى ويمنع

وكذلك جميل الذى يقول[٤]:

فقلت لها: جودى! فقالت مجيبة ∴ أللجد هذا منك أم أنت هازل

وله أيضا[٥]:

وكم لى عليها من ديون كثيرة ∴ طويل نقاضيها بطىء قضاؤها
تجود به فى النوم غير معرد ∴ ويحزن أيقاظا عليها عطاؤها
إذا قلت قد جادت لنا بنوالها ∴ أبت ثم قالت: خطة لا أشاؤها

ولا نعنى بذلك خلو الشعر الأندلسى من ذكر عفاف المحبوبة إذ يقول يوسف الثالث[٦]:

كلانا عليه للعفاف ملاءة ∴ ومن غسق الظلماء ستر مدنر

فذكر عفافهما معا، مع أن ظلام الليل يسترهما، ولابن زيدون يمدح عفاف من يحب[٧] :

وتبرز خلف حجاب العفاف ∴ وتسفر تحت نقاب الخجل

---

(١) ديوان كثير، ص١٨٥ .
(٢) البلال: الماء مما يبل به الحلق . اللسان: مادة (بلل) .
(٣) ديوان كثير، ص١١٧ .
(٤) ديوان جميل، ص١٤٧ .
(٥) المرجع السابق، ص٢٠ .
(٦) ديوان يوسف الثالث، ص٥٨ .
(٧) ديوان ابن زيدون، ص٤١٨ .

ولكن الذى نعنيه أنه غلب على الشاعر الأندلسى عند ذكر العفاف أن يمدح نفسه هو بذلك، دون أن يجعل هذا العفاف صفة مشتركة بينه ومن يحب إلا فى القليل.

وقد يكون معنى العفة عندهم متكلفا نظرا لواقع الحياة المعيشة واختلاف البيئة، ولكننا لا نستطيع الحكم مطلقا فى جميع الأحوال على أمر هذا الشعر بالتكلف لأنه لا يمنع كما ذكرنا فى مقدمة هذا المبحث أن يكون لصدق الشعور والتجربة الذاتية دورها فى وجود هذا التشابه العاطفى المعنوى، بين الشعراء البدو، وأحفادهم الأندلسيين، وكيف لا يكون ذلك، وأمر العفة قد أطره الإسلام بأطره، ولذا وجدنا ابن حزم يفرد بابه الأخير من كتابه طوق الحمامة فى الحديث عن العفة وسماه (باب فضل التعفف) [١] وجعله مقابلا للباب الذى قبله وهو فى (قبح المعصية) [٢]، ((لأن العفة فى القول والعمل غير مرهونة بعصر من العصور، وأن انغماس أكثر الناس وفيهم الشعراء فى القرن الثانى بالمجون ومفاتن الحضارة الجديدة، لا يعنى انتفاء العفة واختفاءها نهائيا، إذ لابد من أن يوجد فى كل مجتمع الخيرون والأشرار، المجان والزهاد، وأهل الطهر والعفاف))[٣]، فالشعر بمعانيه وصوره لا يقتصر على زمان أو مكان، وإنما يتعدى الحدود الضيقة ليشمل كل زمان، وكل مكان، لأنه متصل بالعواطف الإنسانية، التى تظلها سماء واحدة، ويجمعها كون واحد، يقول لسان الدين بن الخطيب[٤] :

لم فى الهوى العذرى أو لا تلم .:. فالعذل لا يدخل أسماعى

(١) طوق الحمامة، ابن حزم، ص١٥٤ .
(٢) المصدر السابق، ص١٣٢ .
(٣) اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى، د/ يوسف بكار، ص٢٥٠ .
(٤) ديوان لسان الدين بن الخطيب ، ج٢، ص٦٥٦ .

شأنك تعنيفى وشأنى الهوى ∴ كل امرئ فى شأنه ساعى

ومن هنا يظهر كيف احتفى الشاعر الأندلسى بمعنى العفة فى شعره، وحرص على تقديم نفسه فى هذا الشعر بصورة العاشق الفارس، الذى يرغب ويريد، ولكنه يعف ويحمى محبوبته حتى من نفسه ٠

ومن أهم معالم هذا الحب العذرى وشيمه: التذلل والخضوع للمحبوبة، فالشاعر المرهف يفتن فى إظهار دلائل هذا الحب والخضوع فى شعره ((وحبه لها، وخضوعه، لا يقللان من شأنه كرجل بل هما يرفعانه درجات ودرجات، وسرت تلك النغمة من الصحراء إلى الأندلس، ولقيت ترحيبا كبيرا)) (١) ، فالتذلل للمحبوبة فى النسيب، وإظهار دلالات التهالك فى الصبابة، وإفراط الوجد واللوعة، والرقة، والخشوع والذلة، والانحلال والرخاوة هو المصاب به الغرض كما ذكر قدامة(٢)، فإذا وجدنا أن ابن عتيق يعيب على عمر بن أبى ربيعة قوله: بينما ينعتنى أبصرننى .. إلى آخر القصيدة(٣) إذ قال له ((أنت لم تنسب بهن، وإنما نسبت بنفسك، وإنما كان ينبغى لك أن تقول: قالت لى، فقلت لها، فوضعت خدى فوطئت عليه)) (٤) وإذا قرأنا أن كثيرا عاب على عمر أيضا قوله(٥):

قومى تصدى له لأبصره ∴ ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها: قد غمزته فأبى ∴ ثم اسبطرت تستد فى أثرى

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ص٥٢١ ٠
(٢) انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١٣٤ ٠
(٣) انظر: العمدة، ابن رشيق، ج٢ ، ص١٢٤ ٠
(٤) المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها٠
(٥) المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها٠

فقال له: ((أهكذا يقال للمرأة؟! إنما توصف بأنها مطلوبة ممنعة)) [١].

وإذا وجدنا أن ابن داود الأصفهانى فى كتابه الزهرة سمى الباب السادس منه (فى التذلل للحبيب من شيم الأديب)) [٢] وفيه يقول: ((والحازم من صبر على مضاضة التذلل، والتمس العز فى استشعار الذل)) [٣] ، وإذا قرأنا قول ابن حزم الأندلسى فى كتابه طوق الحمامة ((وحضرت مقام المعتذرين بين يدى السلاطين، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب غضبان، قد غمره السخط، وغلب عليه الجفاء، وقد امتحنت الأمرين، وكنت فى الحالة الأولى أشد من الحديد، وأنفذ من السيف، لا أجيب إلى الدنية، ولا أساعد على الخضوع، وفى الثانية أذل من الرداء، وألين من القطن، أبادر إلى أقصى غايات التذلل، وأغتنم فرصة الخضوع لو نجع، وأتحلل بلسانى وأغوص على دقائق المعانى ببيانى، وأفتن القول فنونا، وأتصدى لكل ما يوجب الترضى)) [٤] ، فإذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إن الشاعر العربى: ((عبد لله فى تدينه، عبد للجمال فى حبه)) [٥] يقول ابن الحداد[٦]:

لقد سامنى هونا وخسفا هواكم ∴ ولا غرو عز الصب أن يتعبدا

وأمكننا أيضا أن نفهم على نحو خاص أن للمرأة على الشاعر العربى سلطانا لا يقهر، فلم تجعل الصحراء القاسية العرب جفاة لا

(١) المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) الزهرة، ابن داود الأصفهانى، ج١، ص١٠٠ .
(٣) المرجع السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) طوق الحمامة، ابن حزم، ص٧٨ .
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ص٥٢١ .
(٦) ديوان ابن الحداد، ص١٩١ .

يتجهون بالعبادة إلى آلهة يتقربون بها إلى الله زلفى كما ذكر القرآن الكريم[١]، وإنما استشعروا جمال الطاعة فى روحهم، وهى الطاعة التى انسحبت على عشق كل ما هو جميل والخضوع له فى استسلام محبب، وقد تأصل هذا المعنى، وهو معنى الخضوع بعد الإسلام، واستشعروا عظمة الخالق الذى عنت الوجوه له، واستشعروا حلاوة السجود لإله واحد، وكما كانت لذة الطاعة فى القلب الموحد لله، كان هناك ــ مع الفارق الشديد ــ لذة الحب عند شاعر غلبه العشق لامرأة أحبها، ووضع راضيا زمامه فى يدها، ولذا كانت متعة الاستسلام لهذه المعشوقة التى امتلكت نفسها، ولم يكن أدل على ذلك مما وصفه الشعراء العشاق، من آلام الهوى وتباريحه، والخضوع للحب، بل التلذذ باستشعار سطوة هذا الحب فى قلبه ((لأن الألم الذى يحسه المحب لا يذهب عبثا، والعبودية التى يخضع لها الرجل الحر قوة قادرة على كل شىء وليست ذلة)) [٢].

ونحن نقول بمفهومنا كمسلمين: خضوع الرجل الحر وليست عبوديته، لأن العبودية لا تكون لدينا إلا لله وحده الأحد سبحانه وتعالى.

يقول ابن الحداد[٣]:

وتذللى لم يجد غير تدلل ∴ والحسن عز للحسان مكين

يقول ابن زيدون مستشعرا قوة محبوبته وسطوتها عليه[٤]:

ته أحتمل،واستطل أصبر،وعز أهن ∴ وول أقبل، وقل أسمع، ومر أطع

---

(١) قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ سورة الزمر آية (٣) .

(٢) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧٣ .

(٣) ديوان ابن الحداد ، ص٣٦٨ .

(٤) ديوان ابن زيدون ، ص١٧٠ .

إن هذا التذلل امتداد لصفة الفروسية البدوية كما ذكرنا، تلك الفروسية التى تجعل الرجل لا يخشى السيوف القواطع، والرماح الباترات، ولكنه يعترف فى لذة بأنه يخشى سهام النظرات من عيون جميلة ملكت لبه، لقد كان العرب يتغنون منذ القدم بأن تشترك فى قلوبهم صفتان أو قيمتان تعززان مفهومى الشجاعة والحب، وتوحدهما، وهو أن يكون الشاعر خواضا للحروب، قتالا للأعداء، ولكنه مهزوم أمام انتصارات الحب فى قلبه،ضعيف أمام امرأة ضعيفة لا تملك أن تقتله سوى بأمر الحب، وقوتها تأتى من قدرتها على ذلك فى نفسه، وهو المعنى الذى عبر عنه ابن خفاجة حين قال[1]:

وإن كنت خوار[2] العنان على الهوى ∴ فإنى على الأعداء صعب الشكائم
فيا عجبا أن أعطى الظبى مقودى ∴ وأدرأ عنه فى نحور الضراغم

ويقول أيضا[3]:

ويا عجبا لى كيف أجبن فى الهوى ∴ وإنى لمقدام إذا الذمر[4] أحجما
فها أنا أغشى موقف البين والوغى ∴ فتندى جفونى عبرة ويدى دما
وإلا فهذا جيب صدرى ممزقا ∴ بكفى وهذا صدر رمحى محطما

((والعروة المتينة بين الغزل والبطولة لا يجوز أن نغفلها حتى ننحى من قصيدة الغزل حديث الحرب، ونراه شيئا غير الغزل، وكيف وقد أفصح الشعراء عن ما بين البطولة والغزل من علاقة وثيقة، تجعلهما فى كثير من الأحيان شيئا واحدا، يرى أبوالفتح عثمان بن جنى أنه سأل المتنبى عن قوله:

وما كل من يهوى يعف إذا خلا ∴ عفافى ويرضى الحب والخيل تلتقى

---

(١) ديوان ابن خفاجة، ص٢٥٩ ٠
(٢) رجل خوار: أى ضعيف، اللسان: مادة (خور) ٠
(٣) ديوان ابن خفاجة ، ص١٧٤ ٠
(٤) الذمر: الشجاع ، اللسان: مادة (ذمر) ٠

قال: سألت أبا الطيب عن معناه وقت القراءة عليه، فقال: المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداما فى الحرب فترضى حينئذ عنه)) [١] .

قال أحد بنى القبطرنة الوزراء[٢] :

ذكرت سليمى ونار الوغى ∴ بقلبى كساعة فارقتها
وأبصرت قد القنا شبهها ∴ وقد ملن نحوى فعانقتها

وفى هذين البيتين من قول عنترة العبسى[٣]:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ∴ منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها ∴ لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فالشاعر الأندلسى شبه قد المحبوبة بالقنا، ثم ضمن كلامه وصفا لنفسه بالشجاعة، لما قال (وقد ملن نحوى فعانقتها) فدل بذلك على أن أعداءه اتجهوا إليه برماحهم، فعانقها، أى أقبل عليها وأقدم، فزاوج هنا بين الصبوة والشجاعة، كما فعل عنترة مع اختلاف فى التصوير، فقول عنترة (نواهل منى) دل على أنه ذكرها فى الموقف الصعب البالغ الصعوبة، والسيوف تقطر من دمه، والرماح تنهل منه، والنهل الشرب المرة بعد المرة، وفى هذا الموقف ذكر من يحب، فود أن يقبل السيوف لمشابهتها ثغرها، فاختلف التصوير بين الشاعرين مع إرادتهما المعنى نفسه، وهو المزج بين صفتى الصبوة والشجاعة، والمداخلة بينهما مداخلة شعرية رفيعة .

لقد ذل لعزة الهوى ملوك وأمراء، ووجدوا فيه ما وجده غيرهم من إحساس بعذابات الهوى، وعدم القدرة على مدافعة قوة منتصرة هى قوة الحب، ((إن الحب يمحو الفوارق الطبقية ويرفع العامة إلى

(١) قراءة فى الأدب القديم ، د/ محمد أبوموسى، ص٢٤١ .
(٢) نفح الطيب ، المقرى، ج٣ ، ص٢٧٠ .
(٣) ديوان عنترة، ص١٩١ .

مستوى الخاصة، ويجعل من المحب المغمور النسب فى مستوى نبل سيدة أفكاره، وما من أحد يمكن أن يعبر عن خصائص هذا الحب المشرف مثل ابن زيدون الذى أحب ولادة بنت الخليفة المستكفى:

ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفا ∴ وفى المودة دان منا تدانينا)) [1]

وابن زيدون يقول أيضا[2]:

ماذا يريبك من فتى عز الهوى ∴ فعنا لنخوته بذلة خاضع

وفى مثل هذا المعنى، معنى الخضوع المحبب، وتذلل من يهوى لمن هو أرفع منه مكانة أو أقل ، وجدنا سليمان المستعين[3] يقول[4]:

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ∴ ذل الهوى عز وملك ثانى
ما ضر أنى عبدهن صبابة ∴ وبنو الزمان وهن من عبدانى
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ∴ كلفا بهن فلست من مروان[5]

---

(١) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧٣، والقصيدة النونية موجودة فى ديوان ابن زيدون، ص١٤١ ٠

(٢) ديوان ابن زيدون ، ص٤٠٠ ٠

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم القرشى، بويع بقرطبة منتصف ربيع الأول سنة أربعمائة، وتلقب بالمستعين بالله. انظر: الذخيرة، مجلد (١)، قسم (١) ص٣٥ ٠

(٤) الذخيرة، مجلد (١)، قسم (١) ، ص٤٧ ٠

(٥) وهى القصيدة التى عارض بها قول هارون الرشيد:

ملك الثلاث الآنسات عنانى ∴ وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها ∴ وأطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ∴ وبه قوين أعز من سلطانى

انظر: الذخيرة، مجلد (١) ، قسم (١)، ص٤٧ ٠

((ولم يكن ذلك المسلك خيالا لشاعر، أو تزويقا فى الكلام، إنما كان حقيقة ملموسة، عاشها الناس وقدروها قدرها)) [١].

يقول ابن خاتمة مسترحما من يحبها[٢] :

ألا فارحموا ذا عزة ذل للهوى ∴ وما كان يرضى قط بالذل لولاه

((ألا يعنى ذلك فى ضوء هذه المقابلة المدهشة أن الألم والتذلل يشرفان الرجل المحب)) [٣] .

إنه عز الهوى الذى جمع تحت ظلال قوته الطاغية وسطوته الجبارة، بين خواص وعوام، وبدو وحضر، فأحس الشاعر الأندلسى ما أحسه جده جميل حين قال[٤] :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما ∴ قتيلا بكى من حب قاتله قبلى
أفى أم عمرو تعذلانى هديتما ∴ وقد تيمت قلبى وهام بها عقلى
أبيت مع الهلاك ضيفا لأهلها ∴ وأهلى قريب موسعون ذوو فضل

لقد وعى الأندلسيون هذا المعنى القادم من خيام البدو فى الصحراء، فاتسعت له قصور الملوك والأمراء، إذ يقول يوسف الثالث[٥] :

أصبحت مقتولا بسيف صدوده ∴ وأقول لا شلت يمين القاتل

فليس الأمر متكلفا، لأن الشاعر ملك، فأمور الشعر والقلوب، لا تعرف طبقية وحدودا، فالمحب الشاعر ملكا أو غير ملك، لا يجد

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ص٥٢٠ .
(٢) ديوان ابن خاتمة، ص٧٠ .
(٣) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧٣ .
(٤) ديوان جميل بثينة، ص١٦٩ .
(٥) ديوان يوسف الثالث، ص٩٩ .

غضاضة فى البوح وإظهار كل ما يتوسل به للمحبوبة من دلائل الذل، والخشوع والخضوع، أحبه لحبه لها، وأصبح بذلك مملوكا لديها ٠

والوفاء للمحبوبة من أهم معالم الحب العذرى وشيم المحبين، وهى سنة فى هذا الحب، اتبعها الخلصاء من أوليائه، يقول ابن حزم ((ومن حميد الغرائز، وكريم الشيم، وفاضل الأخلاق فى الحب وغيره، الوفاء، وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل، وشرف العنصر)) [١] ، يقول ابن زيدون فى ذلك [٢] :

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ∴ رأيا ولم نتقلد غيره دينا

فجعل وفاءه لها، بمعنى الدين فى قلبه، وهذا من أتم صفات النبل وحفظ الود،ولذا عده ابن زمرك من سجية الأحرار،إذ يقول[٣]:

هل تبلغ الحاجات إن حملتها ∴ إن الوفاء سجية الأحرار

وهى قصيدة حملها كثيرا من الصور البدوية، والمعانى العذرية، فمهد لهذا المعنى بأن ذكر دار الهوى: (حياك يا دار الهوى)[٤] وسماها فى بيت آخر (دار الصبابة والهوى) [٥] ، وذكر الشوق الذى تذكيه هذه الدار [٦] :

إيه وإن أذكيت نار صبابتى ∴ وقدحت زند الشوق بالتذكار

ثم حشد صورة الأظعان، وحنينها إلى نجد، وبرق الحمى، وطيف الكرى، والخيام[٧] ، كل ما سبق وغيره، ليصل إلى تمثل لقوة

---

(١) طوق الحمامة، ابن حزم ، ص٨٥ ٠
(٢) ديوان ابن زيدون، ص١٤٢ ٠
(٣) ديوان ابن زمرك، ص٤١٤ ٠
(٤) المصدر السابق، ص٤١٣ ٠
(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها٠
(٧) المصدر السابق، ص٤١٣، ٤١٤ ٠

معنى هذا الهوى العذرى فى نفسه، والذى جعل الوفاء له من سجية الأحرار، وفى مثل هذا الحشد للمعانى العذرية، يذكر ابن فركون (ت: سنة ٨٢٠هـ) أنه حافظ للوداد، وإن نأت الديار، وبعدت المحبوبة يقول[١] :

وإنى على حفظ الوداد وإن نأت ∴ بى الدار أو شطت بسلمى ركابها

من قصيدة بدوية أولها[٢] :

سل البان عنها أين بان ركابها ∴ ولم رفعت فوق المطى قبابها

وفيها يذكر (الحادى) [٣] و(عرف الصبا) [٤] و(أطلال العذيب) [٥] و(الخيام) [٦]، وسؤال البان عن ركاب الأحبة من معدن سؤال الطلل عن هذه الركاب كما جاء فى قول امرئ القيس[٧] :

ألا عم صباحا أيها الربع وانطق ∴ وحدث حديث الركب إن شئت واصدق

وابن فركون يذكر فى هذه القصيدة أن قرب الدار لا ينفع إذا كانت هذه المحبوبة محجوبة يمنع اقترابه منها إذ يقول[٨] :

وهل نافعى بعد النوى قرب دارها ∴ إذا كان مسدولا عليها حجابها

مما يذكرنا بقول المجنون[٩] :

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ∴ يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ∴ على أن قرب الدار خير من البعد

---

(١) ديوان ابن فركون ، ص٢٦٧ .
(٢) المصدر السابق، ص٣٣٨ .
(٣) ديوان ابن فركون، ص٣٣٨ .
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر السابق، ص٣٣٩ .
(٦) المصدر السابق، ص٣٣٨ .
(٧) ديوان امرئ القيس، ص١٢٩ .
(٨) ديوان ابن فركون، ص٣٣٨ .
(٩) ديوان مجنون ليلى ، ص١٣٦ .

على أن قرب الدار ليس بنافع ∴ إذا كان من تهواه ليس بذى ود

إن الحفاظ على الود، والبقاء على العهد، من سجايا المحب المخلص، ومن شيم العاشق الصادق، وهى الشيم التى طالما تغنى بها الشعراء العذريون ورددها الأندلسيون، يقول ابن الخطيب(١):

ألم تعلموا أن الوفاء سجيتى ∴ إذا شحطت دارى وشط ركابى

ولسان الدين بن الخطيب يقول فى قصيدة أخرى مقسما على بقائه على العهد(٢):

قالت: تناسيت عهد الحب قلت لها ∴ لا والذى خلق الإنسان من علق
ما كان قط تناسى العهد من شيمى ∴ ولا السلو عن الأحباب من خلقى
ولا ترحلت عن مغناك من ملل ∴ قد يترك الماء يوما خيفة الشرق

وقوله (قد يترك الماء ...) فيه تحليل دقيق لسر ارتحال المحب عن مغانى صاحبته مع حبه لها، وهو أن هذه المغانى له كالماء، وقد يترك الماء خيفة الشرق٠

وفى معنى أن الوفاء سجية وطبيعة فى نفس المحب المخلص، يقول يوسف الثالث(٣):

وفائى وودى ما علمت طبيعة ∴ فلا تخشين صدا ولا ترهبن بعدا

ويقول أيضا مادحا نفسه بهذه الصفة، فى زمن عزت فيه(٤):

فيا لك صبا ما أشد وفاءه ∴ على زمن فيه الوفاء قليل

أما ابن زمرك فيقول(٥):

أبثكم إنى على النأى حافظ ∴ ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج١ ، ص١٥٦ ٠
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٩٠ ٠
(٣) ديوان يوسف الثالث، ص٣٢ ٠
(٤) المصدر السابق، ص١٩٣ ٠
(٥) ديوان ابن زمرك، ص٥١٥ ٠

وجملة (لو تحفظون ذماميا) جملة تمن، أخبرهم أنه حافظ للعهد غير مضيع، ثم تمنى أن يحفظوا عهده، والتمنى يأتى للمستحيل، أو المستبعد، فأعطى بذلك معنى أن حفظهم لعهده من المستحيل أو المستبعد، ومع ذلك فهو حافظ لعهدهم.

يقول ابن زمرك من قصيدة أخرى ذاكرا هذا المعنى العذرى[1]:

لئن نسيت تلك العهود أحبتى ∴ فقلبى عهد العامرية ما نسى

ويقول ابن زيدون مؤكدا أيضا هذا المعنى وهو البقاء على العهد حتى مع غدر المحبوبة[2] :

هل غير أن محض الوفاء لغادر ∴ أو غير أن صدق الوصال لقاطع؟
لم يهو من لم يمس قرة عينه ∴ سهر الصبابة فى خلى هاجع

ويردد هذا المعنى فى قصيدة أخرى نحس فيها لوعة الألم، وعذاب الفراق[3] :

يا بائعا حظه منى، ولو بذلت ∴ لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنك إن حملت قلبى ما ∴ لم تستطعه قلوب الناس يستطع

وهى مرتبة فى الوفاء، ذكرها ابن حزم فى طوق الحمامة، ومدح من يكون على هذا الخلق فى الوفاء، وحفظ الذمام إذ يقول ((ثم مرتبة ثانية، وهو الوفاء لمن غدر وهى للمحب دون المحبوب، وليس للمحبوب هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك، وهى خطة لا يطيقها إلا جلد قوى، واسع الصدر، حر النفس، عظيم الحلم، جليل الصبر، حصيف العقل، ماجد الخلق، سالم النية)) [4] ، وقد كان من شروط الوفاء على المحبين كما ذكر ابن حزم، حفظ السر، وعدم إذاعته إذ

(١) المصدر السابق، ص٤٣٢ .
(٢) ديوان ابن زيدون ، ص٤٠٠ .
(٣) ديوان ابن زيدون ، ص١٧٠ .
(٤) طوق الحمامة، ابن حزم، ص٨٦ .

يقول: ((وللوفاء شروط على المحبين لازمة، فأولها: يحفظ عهد محبوبه، ويرعى غيبته، وتستوى علانيته، وسريرته، ويطوى سره وينشر خبره، ويغطى على عيوبه، ويحسن أفعاله، ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة، ويرضى بما حمله، ولا يكثر عليه بما ينفر منه، وألا يكون طلعة ثؤوبا، ولا ملة خروقا ...) [١] .

يقول ابن زيدون فى هذا المعنى[٢] :

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع ∴ سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع

أما ابن حمديس، فيذكر أنه حفظ الهوى وكتم السر، ولكن أذاعته دموعه إذ يقول[٣] :

لا تتهمنى فى الوفاء فإننى ∴ كتمت سرك والدموع تذيعه
نقل الهوى قلبى إلى عينى التى ∴ منها تفجر بالبكا ينبوعه
أبكيتنى فأذعت سرك مكرها ∴ فعلام تعذلنى وأنت تذيعه

لقد تغنى الشعراء الأندلسيون ــ كالعذريين ــ كثيرا بهذه الخصلة الخلقية التى تسمو بالحب إلى أعلى درجاته، وأنشدوا فى هذا الشعر معانى الحب والإخلاص، لمحبوبة وفت أو غدرت، وصلت أو قطعت، ولذا كان هذا الحب العذرى متعاليا على شهوة الانتقام ممن غدر، أو نسيان من قطع، فارتفع بالمستوى الإنسانى فى الشعر إلى درجات أعلى وأنبل.

ومن معالم هذا الحب والعشق العذرى أن يكثر شعراؤه من الشكوى: شكوى الألم الذى يتجرعونه لفراق المحبوبة وبعدها، شكوى من الصد والهجر، شكوى من العذال والوشاة، شكوى من

(١) المصدر السابق، ص٨٩ .
(٢) ديوان ابن زيدون، ص١٦٩ .
(٣) ديوان ابن حمديس، ص٣١٤ .

قسوة المحبوبة أو دلالها، شكوى من تجنيها وعدم وفائها، وما إلى ذلك، مما يعد من توابع الهوى وزوابعه، التى تعصف بكيان هذا الشاعر، وتزلزل نفسه، ((إن العشق فى كلام العرب أو شعر الغزل كما يسمونه، ليس من المسائل الهزلية، لأن الشعر الذى هو وحى النفوس، وجمال الإدراك الإنسانى، أكثر ما يكون ظهورا فى التعبير عن الحب، ووصف هذا الضعف الإنسانى الذى نسميه عشقا، فإن العشق إدراك أكبر مظاهر الجمال ومن لم يفتح قلبه يوما ما، لم يدرك أسرار الحياة، ولم ير غير ظواهرها، ولم يتسرب إلى نفسه بصيص ضوء من جمال الكون)) [١] .

روى عن الشعبى قوله[٢] :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ∴ فأنت وعير بالفلاة سواء

لأن الحب يسمو بصاحبه، ويرتفع بالعاشق مراتب فى الإنسانية، تجعل قلبه أرق، وروحه أكثر شفافية، ولذا كان وقع الألم على هذه النفس الجياشة بالعواطف أشد منه على غيرها، وبخاصة إذا كان العذاب ممن يحب.

يقول ابن زيدون فى هذا المعنى، ذاكرا أن فى عينى محبوبته صحته أو سقمه، وأن هذه المحبوبة تسخطه ويرضى، وتظلمه ولا يشكو، فى مقابلات تشى بمقدار قوة الحب فى قلبه دونها[٣]:

سأحب أعدائى لأنك منهم ∴ يا من يصح بمقلتيه ويسقم
أصبحت تسخطنى فأمنحك الرضا ∴ محضا وتظلمنى فلا أتظلم
يا من تألف ليله ونهاره ∴ فالحسن بينهما مضىء مظلم
قد كان فى شكوى الصبابة راحة ∴ لو أننى أشكو إلى من يرحم

---

(١) بلاغة العرب فى الأندلس، د/ أحمد ضيف، ص٩١ .
(٢) ذم الهوى، ابن الجوزى، ص٣٠٦ .
(٣) ديوان ابن زيدون، ص١٨١ .

وفى مثل هذه المقابلات بين قوة الحب لدى الشاعر ومقاساته دون من يحب يقول ابن حمديس[١]:

شكوت إليها لوعة الحب فانثنت ∴ تقول لتربيها وما لوعة الحب؟
فقيل عذاب لو أحطت بعلمه ∴ لجدت على الصادى بماء اللمى العذب

وهى مقابلة فى المشاعر، قريبة من قول المجنون[٢]:

أحبك يا ليلى محبة عاشق ∴ عليه جميع المصعبات تهون
أحبك حبا لو تحبين مثله ∴ أصابك من وجد على جنون

لقد أكثر الشعراء من وصف حنين القلوب، ونفحات النفوس، ونفثات العشق والهوى، وأودعوا شعرهم المصدور كل ما يحسونه من آلام، وشكوى من تباريح الهوى والوجد، وجعلوه مستودعا للأسرار، ومهبطا لوحى العشق، ومقصدا لكل من عن له أن يستلهم من سيل الحب المغرق، ويستمطره لقلب عرف الهوى، ولم يعرف كيف يعبر عنه ((حتى يكون للشاعر فضيلة الشعر))[٣]، فابن الخطيب يقول رافعا شكوى محب متذلل إلى رب كريم[٤] :

أبوح بما أخفى وليس بنافعى ∴ ولكنها شكوى إلى الله ترفع
أمالك رقى كم أرانى فى الهوى ∴ أذل كما شاء الغرام وأخضع

أما ابن دراج فيستجير بمحبوته من لوعة الهجر، ويرى أنه لولا ضلوع قلبه التى تحبسه لمضى هذا القلب فى أثرها إذ يقول[٥]:

لولا الضلوع لظل القلب نحوكم ∴ ضعى بعيشك فوق القلب يمناك
أصليتنى لوعة الهجران ظالمة ∴ رحماك من لوعة الهجران رحماك

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص١٨ .
(٢) ديوان مجنون ليلى، ص٢٣٤ .
(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١٣٦ .
(٤) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج٢ ، ص٦٦٥ .
(٥) ديوان ابن دراج القسطلى، ص٧٠٧ .

لقد استرحم الشاعر من يحب، وأحس لذة هذا الاسترحام لأنه توجه به لمن يحب، يقول ابن فركون فى هذا المعنى[١] :

إن التى شغف الفؤاد هواها ∴ قضت الليالى أن تطيل نواها
عجبا لها إذا أتلفت ببعادها ∴ قلبا مشوقا لم يزل مثواها
يا ليتها رحمت معنى مغرما ∴ لم يدر ما معنى الهوى لولاها

وقد أكثر الشعراء من وصف الكمد والحزن الذى يعترى العاشق لغياب من يحب وعدم رؤيته، حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، يقول ابن فركون[٢] :

يا من تملكنى حبا أيجمل بى ∴ صبر وعينى على مرآك لا تقع
تضيق فى عينى الدنيا إذا أنا لا ∴ أراك فيها ورحب الأرض متسع

ووصف الشعراء أيضا نيران الأسى واللوعة التى يخلفها بعد من يحبون، حتى أن ابن الأبار يجعل إطفاء هذه النيران يستعصى على الطوفان، يقول[٣] :

غلبت على لبعدكم أشجانى ∴ وجفا الكرى من بعدكم أجفانى
وتضرمت بين الجوانح لوعة ∴ إطفاؤها أعيا على الطوفان

ويقول ابن الآبار من قصيدة أخرى جاعلا من بكائه فى إثر من يحب سببا للقضاء عليه، حتى شق جيوبه، وهذا من علامات الجنون، ((روى عن الأصمعى أنه قال: لقد أكثر الناس فى العشق، فما سمعت أوجز ولا أجمل من قول بعض نساء العرب وسئلت عن العشق؟ فقالت: ذل وجنون)) [٤] ، يقول ابن الآبار[٥] :

جفون همت مذ غاب عنها حبيبها ∴ ونفس بها للشوق نار تذيبها
تيقنت إذ ودعتها أن مهجتى ∴ سيقضى عليها شوقها ونحيبها

---

(١) ديوان ابن فركون ، ص٢٦٧ .
(٢) المصدر السابق، ص٢٦٠ .
(٣) ديوان ابن الآبار، ص٣٤٨ .
(٤) ذم الهوى، ابن الجوزى، ص٢٩٢ .
(٥) الحدائق والجنان، الجيانى، ص١٠٨ .

شققت جيوبى يوم بانت وطالما ∴ أطال عذابى ما طوته جيوبها
وللحب حالات تمر خطوبها ∴ إذا قرنت بالبين تحلو خطوبها

لقد مضى الشعراء الأندلسيون على سنن العذريين فى وصف تباريح الهوى والعشق، وربط آلام الفراق ومكابدته بمعنى الموت، والثكل، فأبوبكر الطرطوشى يرجح ألم الفراق على ألم الثكل، يقول[١]:

يقولون ثكلى ومن لم يذق ∴ فراق الأحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق ∴ كؤوسا أمر من الحنظل

ويجعل عبدالله بن عبدالعزيز الأموى، من بقائه على قيد الحياة بعد فراقهم إجحافا بحق الحب وعدم إنصاف له، يقول[٢] :

سقيا لهم من ظاعنين حسبتهم ∴ وسط الهوادج لؤلؤا مكنونا
لو كنت أنصفهم عشية ودعوا ∴ ما عشت بعد نوى الأحبة حينا

أما ابن حمديس فيسأل محبوبته ويستعطفها أن تفديه بوصلها من موت محقق، يقول[٣]:

هل أنت فادية فؤاد عميد ∴ من لوعة فى الصدر ذات وقود
أم أنت فى الفتكات لا تخشين فى ∴ قتل العباد عقوبة المعبود

ويسهب الشعراء الأندلسيون فى ترديد هذا المعنى إذ يعادلون بين الفراق والموت، فيقول ابن الآبار[٤] :

ويهون ذلك للفراق وطعمه ∴ إن الفراق هو الحمام الثانى

ويقول إدريس بن الهيثم أيضا[٥] :

فقدتك فقدانى لنفسى فلو أتى ∴ عليها حمام ما وجدت له فقدا

---

(١) نفح الطيب، المقرى، جج٢، ص٨٦ .
(٢) الحدائق والجنان، الجيانى، ص١١٠ .
(٣) ديوان ابن حمديس، ص١٢٩ .
(٤) ديوان ابن الآبار، ص٣٤٨ .
(٥) الحدائق والجنان، ص٨٥ .

وفى مثل هذا المعنى ــ معنى فقد المحبوبة المعادل لفقدان الروح ــ يذكر أحمد بن عبدالملك بن مروان أنه هلك مذ تولى عنه من يحب[١] :

لقد أودى تذكره بجسمى ∴ ولست أشك أن النفس تودى
تولى الصبر عنى مذ تولى ∴ وعاودنى من الأحزان عيدى

لقد عادل الشعراء بين مرارة الفقد والهجر ووقع الموت، لأنهم أحسوا فى فقد من يحبون فقدا للنفس التى هويت وعشقت، وربطت حياتها بوجود هذه المحبوبة، حتى إذا غابت أو هجرت، استشعر الشاعر وحشة الكون من بعدها، فندب نفسه، وشكى مرارة الهجر ولوعته، يقول ابن حزم عن الهجر ((وهنا ضلت الأساطير، ونفدت الحيل، وعظم البلاء، وهو الذى خلى العقول ذواهل، فمن دهى بهذه الداهية فليتصد لمحبوب محبوبه، وليتعمد ما يعرف أنه يستحسنه))[٢]، يصف ابن زيدون ما يجده من عذاب الهجر المميت، فيقول[٣]:

وما كنت إذ ملكتك القلب عالما ∴ بأنى عن حتفى بكفى باحث
فديتك إن الشوق لى مذ هجرتنى ∴ مميت فهل لى من وصالك باعث

وقد ذكر ابن زيدون هذا المعنى فى قصيدة أخرى متسائلا عن جرمه الذى اقترفه ليكون الهجر والجفاء جزاء له[٤]:

أأجفى بلا جرم وأقصى بلا ذنب ∴ سوى أننى محض الهوى صادق الحب
أغاديك بالشكوى فأضحى على القلى ∴ وأرجوك للعتبى فأظفر بالعتب

(١) المصدر السابق، ص٨١ .
(٢) طوق الحمامة، ابن حزم، ص٨٣ .
(٣) ديوان ابن زيدون، ص١٨٤ .
(٤) المصدر السابق، ص١٨٢ .

ولقسوة الهجر على النفس، أكثر الشعراء التذلل لمن يحبون، واسترحامهن فى العودة، يقول ابن فركون[١] :

ألا عطفة بعد التباعد والنوى ∴ ألا عدة بالوصل يوما بلا مطل

وإذا كان الشعراء قد وصفوا مرارة الفراق ولوعته، واسترحموا من يحبون، فإنهم أيضا قد شكوا من ألم الخيانة، وقلة الوفاء، وعدم البقاء على العهد، يقول أبوالصلت أمية بن عبدالعزيز[٢]:

فلا والله ما حفظت عهود ∴ كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل ∴ لأنصف من يفى ممن يخون

ولم يحد الشعراء الأندلسيون عن سابقيهم العذريين فى وصف الشوق للمحبوبة، وتمنى اللقاء، واشتكوا من هذا الشوق، وتباريحه، لأنه بلا طائل، ولذا وصفه ابن زيدون بأنه أقوى من شوق مقتول من العطش إلى قطرة من ماء المطر[٣]:

وما شوق مقتول الجوانح بالصدى ∴ إلى نطفة زرقاء أضمرها وقط[٤]
بأبرح من شوقى إليكم ودون ما ∴ أدير المنى عنه القتادة[٥] والخرط[٦]

ولم يكن للسلو مكان فى حياة المحب الصادق، واستعصى عليه أن يحصل عليه مع رغبته فيه لأن الشوق يحول بينه وهذه الرغبة،

---

(١) ديوان ابن فركون، ص٢٦٥ .
(٢) نفح الطيب، المقرى، ج٣ ص٤٨٣ .
(٣) ديوان ابن زيدون ، ص٢٨٦ .
(٤) وقط : حفرة فى الصخر يجتمع فيها ماء المطر. اللسان مادة (وقط).
(٥) القتاد: شجر ذو شوك أمثال الإبر، اللسان، مادة (قتد) .
(٦) الخرط: قشر وانتزاع الورق عن الشجر وجذبه، اللسان مادة (خرط) وفى المثل (دون ذلك خرط القتاد) يضرب للأمر دونه مانع، مجمع الأمثال، الميدانى، ج١ ص٢٦٥ .

ولذا اشتكى الشعراء من عدم قدرتهم على النسيان، إذ كلما عن السلو على قلب عاشق اعترضه الشوق، فهو يدافع فى هذا القلب ما لا يستطيع أن يدافعه وهو الحب، وما لا يستطيع أن يفهمه وهو أن يرغب فى نسيان من يحب، وفى هذا المعنى يقول ابن زيدون[1]:

خليلى مالى كلما رمت سلوة ∴ تعرض شوق دون ذلك حائل
أراح إذا راح النسيم شآميا ∴ كأن شمولا ما تدير الشمائل

وإذا كان للفراق والهجر على نفس العاشق وقع يشبه الموت، واستحال السلو لأنه لا يستطيعه، فقد أكثر الشعراء فى هذا النسيب العذرى العفيف، من الاستعاضة عن وجود المحبوبة المادى،إلى استحضار (طيف الخيال)، فأسهبوا كغيرهم فى ذكر هذا الطيف وتمثله ووصفه، ووصفوا كيف قطع الطريق دون أن يدرى به أحد، وكيف جاد طيف المحبوبة بالوصل، على خلافها، مما جعل فى استحضار صورة الطيف فى هذا النسيب العذرى نوعا من التعويض عن الحرمان عن وجود المحبوبة الحسى، فيعمد الشاعر أحيانا إلى هذه الحيلة الخيالية، التى لا تبعد بالعفة عن معناها، ولكنها تطفئ شيئا من نار الشوق إلى من أحبوا ((ومما يمدح به أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله، ويخاف لبسه وفوته، والذة التى لم تحتسب، ولم ترتقب يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع، وأنه وصل من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين، وجود من بخيل، وللشىء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول))[2].

(١) ديوان ابن زيدون، ص٣٩١ .
(٢) طيف الخيال، الشريف المرتضى، ص٢٧ .

وقد تكون الصورة الملازمة للشاعر ليست صورة طيف يقطع الأماكن ويجوب القفار ليلقاه، وإنما هى صورة أبدعتها خواطر الشاعر وصنعها هو لنفسه لتكون معه أبدا، وذلك كقول الغزال[١]:

ولاوالهوى ما الإلف زار على النوى ∴ يجوب إلى الليل فى البلد القفر
ولكنه طيف أقام مثاله ∴ لعينى فى نومى خواطر من فكرى

وللرغبة فى استزارة الطيف، رغب الشعراء فى النوم، يقول ابن خفاجة[٢]:

هل كان عندك أن عندى لوعة ∴ ينبو لها طرف السنان الأزرق
طالت مراقبة الخيال ودونه ∴ رعى الدجى فمتى أنام فنلتقى
ما بين نحر بالدموع مقلد ∴ فرحا وجيد بالعناق مطوق

ويقول فى قصيدة أخرى إنه لم يطمع فى النوم إلا رغبة فى هذا الخيال الزائر[٣] :

ولئن راودت من سنة ∴ لبما أرتاد من حلم
وخيال لو ترى لخبا ∴ ما بصدر الصب من ضرم
فسقى الله مضاجعنا ∴ بين طلح الجزع والسلم

أما لسان الدين بن الخطيب فيأتى بمعنى آخر، وهو أن الطيف زراه دون نوم، لأنه عاشق ، ولذا قام الخيال، مقام الحلم فى تمثل الطيف عنده[٤] :

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا ∴ تفديك نفسى غائبا أو شاهدا
يا من على طيف الخيال أحالنى ∴ أتظن جفنى مثل جفنك راقدا
ما نمت لكن الخيال يلم بى ∴ فيجله طرفى فيطرق ساجدا

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى، ص١٦٣ ٠
(٢) ديوان ابن خفاجة، ص١٥١ ٠
(٣) ديوان ابن خفاجة، ص١٠٧ ٠
(٤) ديوان لسان الخطيب، ج١ ، ص٣٦٢ ٠

وقوله (فيجله طرفى فيطرق ساجدا) من المعانى التخيلية، لأنه علل نومه وإطباق جفونه بإجلاله للطيف، وأنه لما رآه خر هذا الطرف ساجدا، ويأتى هذا المعنى ــ معنى إقامة الخيال مقام الحلم فى تمثل الطيف ــ عند ابن حمديس يقول[١] :

قالوا صبا يا من رأى مستهام ∴ حجاه[٢] كهل وهواه غلام
لعله صاد ولم يعلموا ∴ رئما حلال صيده لا حرام
أو زاره طيف خفى الهوى ∴ يطرقه فى الوهم لا فى المنام

وابن حمديس يذكر المعنى الذى أورده الشريف المرتضى فى أنه ((من مليح مدحه وغريبه، أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما، ولا يخشى منع منهما، ولا إطلاع عليهما، والتهمة بهما زائلة، والريبة عليهما عادلة، وأنه تمتع ولكن ذا لا يتعلق بهما تجهيم، ولا يدنو إليهما تأثيم، ولا عيب فيهما، ولا عار، وقد قاما مقاما فيه ذلك أجمع)) [٣] ، وابن حمديس يكرر هذا المعنى فى قوله أيضا[٤] :

رعى من أخى الوجد طيف ذاما ∴ فحل من وصل سلمى حراما
تحمل منها بريا العبير ∴ ومن أرضها بأريج الخزامى

ولذا أكثر الشعراء من تمنى زيارة الطيف لأن فيه عوضا عن البعد إذ يقول ابن خفاجة[٥] :

يا حبذا والطيف ضيف طارق ∴ طيف على شحط أجد مزارا
تلوى الشمال به قضيبا ربما ∴ عاطى بسوسان هناك عرارا

ويقول أيضا لسان الدين بن الخطيب[٦] :

أما وخيال فى المنام يزور ∴ وإن كان عندى أن ذلك زور

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص٤٥٩ ٠
(٢) الحجى: العقل والفطنة، اللسان: مادة (حجا) ٠
(٣) طيف الخيال، الشريف المرتضى، ص٢٧ ٠
(٤) ديوان ابن حمديس، ص٤٥٢ ٠
(٥) ديوان ابن خفاجة ، ص١١٣ ٠
(٦) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج١، ص٣٩١ ٠

لقد ضقت ذرعا بالنوى بعد بعدكم ∴ على أننى للنائبات صبور

كما أنهم شكروا للطيف زيارته، لأنه وصل من هاجر وفى هذا المعنى يقول ابن خفاجة[١] :

وضيف طيف أم من هاجر ∴ بات به المشكو مشكورا

ولذا فقد تمنوا زيارة الطيف، لأن فيه كما ذكرنا تعويضا بالخيال عن واقع الحقيقة ((أليس من الأفضل أن يحل اتحاد الأرواح من خلال الفكر حال اليقظة وفى الأحلام أثناء النوم محل الصلة الحسية؟)) [٢] .

يقول ابن خفاجة ذاكرا ما كان من وصل جاد به طيف من يحب[٣]:

ورداء ليل بات فيه معانقى ∴ طيف ألم لظبية الوعساء[٤]
فجمعت بين رضابه وشرابه ∴ وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت فى ظلماء ليلة وفرة[٥] ∴ شفقا هناك لوجنة حمراء

ويقول ابن هانئ فى هذا المعنى أيضا[٦] :

أحبب به قنصا إلى متقنص ∴ وفريصة[٧] تهدى إلى مستفرص
من أين هذا الخشف جاذب أحبلى ∴ فلأفحصن[٨] عنه وإن لم يفحص
بل طيف نازحة تصرم عهدها ∴ إلا بقايا ودها المستخلص

ويقول فى هذا المعنى أيضا ابن عبد ربه[٩]:

سرى طيف الحبيب على البعاد ∴ ليصلح بين عينى والرقاد

---

(١) ديوان ابن خفاجة، ص٢٤٧ .
(٢) الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ص٣٧١ .
(٣) ديوان ابن خفاجة، ص١٥٣ .
(٤) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل. اللسان: مادة (وعس).
(٥) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، وقيل: ما سال على الأذنين من الشعر. اللسان : مادة (وفر) .
(٦) ديوان ابن هانئ، ص١٧٩ .
(٧) الفرصة: النهزة والنوبة . اللسان: مادة (فرص).
(٨) الفحص: البسط والكشف، اللسان: مادة (فحص) .
(٩) ديوان ابن عبد ربه، ص١٢٢ .

فبات إلى الصباح يدى وساد ∴ لوجنته كما يده وسادى

أما ابن زيدون ، فيطلب من المحبوبة ألا تكثر التجنى فتقطع وصل الطيف، لأن فيه ما يسد حاجته لقربها، وهى لا تستطيع منع طيفها من الزيارة، وإنما أراد الشاعر بهذا المبالغة فى وصف منعها، يقول[١] :

ينهى جفاؤك عن زيارتى الكرى ∴ كيلا يزور خيالك المعتاد
لا تقطعى صلة الخيال تجنيا ∴ إذ فيه من عوز الوصال سداد
ما ضر أنك بالسلام ضنينة ∴ أيام طيفك بالعناق جواد

ويردد الأعمى التطيلى هذا المعنى، يقول[٢] :

ومانعتى حتى على النأى وصلها ∴ لعلك قد صارمت طيفك فى وصلى

لقد وجد الشعراء فى زيارة الطيف لهم عدلا عن وصال لم يحظوا به، ولذا قنعوا به، ومدحوا هذه الزيارة ((ومن القنوع الرضا بمزار الطيف، وتسليم الخيال، وهذا إنما يحدث عن ذكر لا يفارق، وعهد لا يحول، وفكر لا ينقضى، فإذا نامت العيون وهدأت الحركات سرى الطيف)) [٣] ، يقول ابن حمديس ذاكرا زيارة الطيف له، قانعا بها ــ على أنها عيادة من طيف لمريض شفه السقم ــ[٤] :

أبكاه شيب الرأس لما ابتسم ∴ وعاده فى السقم طيف ألم
من غادة فى وصل هجرانها ∴ يقنع منها بوصال الحلم

ولكن بعض الشعراء لم يجدوا فى زيارة الطيف عوضا عن الحقيقة، ولم يشف قلوبهم تصور الخيال الذى يقرب البعيد، يقول ابن فركون فى هذا المعنى[٥] :

وهيهات يشفى القلب طيف خيالها ∴ وقد علمت أن الخيال كذوب

---

(١) ديوان ابن زيدون، ص٤٤٩ .
(٢) ديوان الأعمى التطيلى، ص١٢٢ .
(٣) طوق الحمامة، ابن حزم، ص١٠٦ .
(٤) ديوان ابن حمديس، ص٤٧٣ .
(٥) ديوان ابن فركون، ص١٥٤ .

((وقد تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار، ووعورة الطرق واشتباه السبل واهتدائه إلى المضاجع من غير ما مرشد يرشده، وعاضد يعضده، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف فى أقرب مدة وأسرع زمان))[١] .

يقول ابن هانئ[٢] :

أأسماء ما عهدى ولا عهد عاهد ∴ بخدرك يسرى فى الفيافى المجاهل
فإنك ما تدرين أى تنائف ∴ قطعت بمكحول المدامع خاذل
تأوب مرخاة عليه ستوره ∴ هدوءا وقد نامت عيون العواذل

فالشاعر يتعجب من قطع المجاهل ((لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة، وأنها فى النوم كاليقظة، فلابد مع ذلك من العجب مما تعجبوا من طي البعيد من غير ركاب، وجوب البلاد بلا صحاب)) [٣] .

ولأنهم افترضوا أن زيارة الطيف على الحقيقة، فقد توهموا أيضا أنه يمنع كما تمنع المحبوبة، وأنه يحمى بالسيوف القواطع مثلها، يقول لسان الدين بن الخطيب[٤] :

قد كنت أقنع منك فى سنة الكرى ∴ بالطيف فضلا عن مزار يقرب
ويئست إذا عاقتك أحراس العدى ∴ عن زورتى وتألفوا وتألبوا
تالله لو أرسلت طيفك لاثنى ∴ خوف القواطع خائفا يترقب

وقد أسهب الشعراء الأندلسيون فى العذرية، إذ جعلوا الطيف لا يهتدى للشاعر لخفائه من شدة النحول والسقم، وأكثروا من ترديد هذا المعنى فى شعرهم، يقول ابن اللبانة الدانى[٥] :

جسدى من الأعداء فيك لأنه ∴ لا يستبين لطرف طيف يرمق

---

(١) طيف الخيال، الشريف المرتضى، ص٢٧ .
(٢) ديوان ابن هانئ، ص٣٠٢ .
(٣) طيف الخيال، الشريف المرتضى، ص٢٧ .
(٤) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج١ ، ص١١٠ .
(٥) ديوان ابن اللبانة الدانى، ص٧١ .

لم يدر طيفك موضعى من مضجعى ∴ فعذرتـــه فـــى أنـــه لا يطـــرق

أما ابن زمرك، فيذكر أن هذا الطيف اهتدى إليه رغم نحولـــه، وسقمه، لتوقد نار الصبابة والوجد فى قلبه، وهى التى كانـــت كنـــار القرى، التى ترفع للضيف، إذ يقول[1]:

عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى ∴ ولم يبـق منـى السـقم والشـوق باقيـا
رفعت لـه نـار الصبابة فاهتـدى ∴ وخـاض لهـا عـرض الدجنـة سـاريا

فـــ((جعل علة إقباله استضاءته بنار وجده)) [2].

لقد أكثر الشعراء الأندلسيون من وصف مـــا يعانيـــه العاشـــق ويكابده، وأشجانا صوت الرنين الدافئ لعاطفة الحب فى هذا الشـــعر، وقد يكون فى بعض شعرهم تكلف أو مبالغة، ولكننا لا ننكر أن أمـــر العشق لا يقتصر على جيل دون جيل، أو بادية دون حاضـــرة، ولـــو كان الأمر كذلك، لما وجدنا فى كتاب مثل طـــوق الحمامـــة، قصصـــا لعشاق أندلسيين جنوا أو قضى عليهم الحب[3] ، ولذا أكثر الشـــعراء فى الأندلس من وصف هذا العشق ومـــا يكابدونـــه مـــن آلام، ومـــا يعانونه ممن حولهم أيضا، ناصحين أو حاسدين، فمما شـــكى منـــه الشعراء الأندلسيون، الوشاة والعذال، وقد جعلهما ابن حزم من آفات

---

(١) ديوان ابن زمرك، ص٥١٥ ٠
وقوله: (رفعت له نار الصبابة....) فيه أثر من قول البحترى:
دمن مواثل كالنجوم فإن عفت ∴ فباى نجم فى الصبابة تهتـــدى؟
ديوان البحترى، ج١، ص٤٠ ٠

(٢) طوق الحمامة، ص١٠٦ ٠

(٣) ومنهم مروان بن يحيى بن جدير الذى ذهب عقله لاعتلاقه بجارية أخيه، فمنعها منه، وباعها لغيره، وما كان فى إخوته مثله، ولا أتم أدبا منه، ويحيى بن أحمد بن عباس بن عبدة، جـــن لأنـــه وجـــد بجاريته وجدا شديدا، وكانت أمه أباعتها، وذهبـــت إلـــى تزويجـــه بعض العامريات وغيرها كثير. انظر: طوق الحمامة، ابـــن حـــزم ص١١٣ ٠

الحب[١] ، فإذا كان الشاعر لم يستطع أن يصمد بقوة فى وجه الشوق الجارف الذى يمتلئ به قلبه، إلا أن ضعفه أمام هذا الشوق استحال قوة فى وجه العذال والوشاة الذين يسعون بالوقيعة بينه ومن يحب، فهو لم يستطع أن يدافع الشوق، ولكنه استطاع أن يدفع هؤلاء العذال والوشاة، وأن يصم سمعه عنهما، ولذا أكثر الشعراء من وصف قوة تمسكهم بمن يحبون على رغم كثرة الواشين والعاذلين، يؤكدون بذلك صدق حبهم، وقوته فى نفوسهم، مستلهمين أشعار أسلافهم العذريين، مثل قول جميل بثينة[٢] :

فما زادنى الواشون إلا صبابة ∴ ولا زادنى الناهون إلا تماديا

وقد أخذ الأندلسيون هذا الجذر البدوى العذرى وصنعوا منه دوحة متسعة الأفنان والصور، يقول ابن حمديس[٣]:

قال العذول لقد خضعت لحبه ∴ فأجبته عز المحب خضوعه
أقصر فما يجتث أصل علاقة ∴ جذبت بأطراف الملام فروعه

ويقول ابن مرج الكحل[٤] :

إنى لأعجب من عتاب عواذلى ∴ جهلا عليك وما يفيد عتابى
قلبى يرى أن لا سلو من الهوى ∴ رضى الذى يلقى من الأوصاب
يا عاذلى ماذا تضرك شقوتى ∴ القلب قلبى، والعذاب عذابى

ويرى ابن زمرك أن قوة الود تكمن فى صموده فى وجه الحاسدين والواشين، يقول[٥]:

هل الود إلا ما تحاماه كاشح ∴ وأخفق فى مسعاه من جاء واشيا

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٥١: ٥٨ .
(٢) ديوان جميل بثينة، ص٢١٧ .
(٣) ديوان ابن حمديس، ص٣١٤ .
(٤) ديوان ابن مرج الكحل، ص٢٩ .
(٥) ديوان ابن زمرك، ص٥١٥ .

وابن فركون أيضا يذكر أنه لا يسلو، ولا يسمع للواشين واللوام، فهو محافظ على العهد، باق على الحب[١] :

ألم تعلما أنى على القرب والنوى ∴ أحافظ ذاك العهد رعيا له رعيا
وأنى لا أسلو وإن بعد المدى ∴ وإن أكثر الواشون لا أقبل الوشيا
لئن أرشد اللوام قلبى لسلوة ∴ فهيهات إن الرشد أحسبه غيا

وهو فى قصيدة أخرى، يطلب ممن يعذله أن يكف عن العذل، لأنه عاشق تملكه الهوى، فالعشق ((يستأثر العاشق حتى يجعله فى مقام المستعبد)) [٢] يقول[٣] :

خليلى كفا عن ملامة هائم ∴ مسامعه لم تصغ يوما إلى العذل
ألم تعلما أنى تملكنى الهوى ∴ فوالله ما أمسى بغير الهوى شغلى

لقد أكثر الشعراء الأندلسيون من وصف ألم الوجد وتباريحه، ومعاناتهم لواعجه، وجاء شعرهم حافلا بمعانى العشق والهوى، التى استرفدوها من عالم البادية، الساحر، واستلهموها من رنين قصص عشاق الصحراء، ومتيمى الأعراب، فوصفوا عذابات الحب ووصفوا أيضا ما يعترى العاشق من علامات هذا الحب، من بكاء، ودموع، وسهر، ومراقبة للنجوم، ومن نحول وسقم يعترى العاشق، ومن وحشة مع الناس حتى يذهل عن نفسه، ومن خفوق القلب ... إلى ما ذلك من علامات العشق والهوى التى حفل بها هذا الشعر البدوى السمات، الأعربى الطابع، العفيف الخلق، يقول أبوبكر الطرطوشى ذاكرا سهره، ومراقبته النجوم، وكثرة النظر إلى السماء، علّه يوافق نظر محبوبته إليها[٤] :

أقلب طرفى فى السماء ترددا ∴ لعلى أرى النجم الذى أنت تنظر

---

(١) ديوان ابن فركون ، ص٣١٩ .
(٢) ذم الهوى، ابن الجوزى ، ص٣٠٦ .
(٣) ديوان ابن فركون، ص٢٦٥ .
(٤) نفح الطيب، المقرى، ج٢، ص٨٥ .

وهو يكرر بيت المجنون الذى يقول فيه[١]:

أقلب طرفى فى السماء لعله ∴ يوافق طرفى طرفها حين تنظر
وليس الذى يجرى من العين ماؤها ∴ ولكنها نفس تذوب فتقطر

والطرطوشى يضيف إلى البيت السابق أبياتا تحمل كثيرا من المعانى العذرية الرقيقة، استقبال الركبان وسؤالهم عمن يحب، تتسم الأرواح عند هبوبها، المسير إلى غير هدى، مما يذكرنا بأشعار المجنون فى ليلاه، وفيها يقول[٢] :

وأستعرض الركبان من كل وجهة ∴ لعلى بمن قد شم عرفك أنظر
وأستقبل الأرواح عند هبوبها ∴ لعل نسيم الريح عنك يخبر
وأمشى ومالى فى الطريق مآرب ∴ عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر
وألمح من ألقاه من غير حاجة ∴ عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ويشبه قوله(أستقبل الأرواح...)و(أمشى...)قول المجنون[٣]:

وأخرج من بين البيوت لعلنى ∴ أحدث عنك النفس بالليل خاليا

وتتردد هذه المعانى البدوية، فى قول أبىبكر بن هذيل[٤]:

عرفت بعرف الريح أين تيمموا ∴ وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى إلى جانب الحمى ∴ فلست إلى غير الحمى أتيمم
أبيت سمير الفرقدين كأنما ∴ وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم

وصورة السهر وتقلب العاشق فى الفراش، وكأن به أراقم، ترد أيضا عند حازم القرطاجنى فى وصف سهره لشغل قلبه بالحب إذ يقول[٥] :

وكيف وما سال بحال كواجد ∴ وهل يستوى خلو الفؤاد وهائمه

---

(١) ديوان مجنون ليلى، ص١٤٧ .
(٢) نفح الطيب، المقرى، ج٢ ، ص٨٥ .
(٣) ديوان مجنون ليلى، ص٢٥٣ .
(٤) نفح الطيب، المقرى، ج٣ ، ص١٥٤ .
(٥) ديوان حازم القرطاجنى، ص١٠٩ .

يبيت إذا ما البرق أبرق جفنه ∴ بليل سليم ساورته أراقمه

وهى صورة قديمة فى الشعر الجاهلى وردت عند النابغة الذى يقول(١):

فبت كأنى ساروتنى ضئيلة ∴ من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وهو قلق أورثه وعيد النعمان له(٢)، أما عند الشاعر الأندلسى فقد أورثه عشق مبرح٠

ويكثر الشعراء من وصف سهرهم، ومكابدتهم حرارة الشوق والوجد، مما يدفع العاشق لأن يجسد أمنياته فى الخيال، فيتوهم المحبوبة قربه، يقول عمرو بن عثمان(٣):

إذا هجع النوام بت مسهدا ∴ وكفى على خدى ودمعى على نحرى
ويهمنيك الشوق فى ساحة المنى ∴ فأنت تجاهى فى المناجاة والذكر

والبيت الثانى فيه شوب من قول المجنون(٤):

أرانى إذا صليت يممت نحوها ∴ بوجهى وإن كان المصلى ورائيا

ويطول ليل العاشق، ويكثر الشعراء الأندلسيون من وصف طوله، حتى شبهه يوسف بن هارون بمعنى الهجر الذى لا ينقضى،

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى، ص٧٩ ٠

(٢) إذ يقول:

وعيد أبىقابوس فىغير كنهه ∴ أتانى ودونى راكس فالضواجع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ∴ من الرقش فى أنيابها السم فاقع

ديوان النابغة الذبيانى، ص٧٨ ٠

(٣) الحدائق والجنان، الجيانى، ص١١٧ ٠

(٤) ديوان مجنون ليلى، ص٢٥٣ ٠

وشبه الصباح بالغائب الذى لا يرجع ، وبوجه محبوبته الذى يشتاق إليه يقول[١] :

فطال على الليل حتى كأنه ∴ قد امتثل الهجر الذى ليس يقلع
وطال انتظارى للصباح كأننى ∴ أراقب منه غائبا ليس يرجع
فيا شعر من أهواه هل لك آخر ∴ ويا وجه من أهواه هل لك مطلع

((قال الربعى: وسمعت أعرابية تقول: مسكين العاشق، كل شىء عدوه، هبوب الرياح يقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورسوم الديار تحرقه، والعذل يؤلمه، والتذكر يسقمه، والبعد ينحله، والقرب يهيجه، والليل يضاعف بلاه، والرقاد يهرب منه، ولقد تداويت بالقرب والبعد فلم ينجح فيه دواء)) [٢] .

وقد وصف الشعراء كل هذا وغيره مما يعترى العاشق فمن ذلك شدة خفقان القلب، وسرعة نبضاته، وهى من دلائل العشق التى تعترى من يحب، فهو كما ذكر ابن الجوزى ((يورث الهم الدائم، والفكر اللازم والوسواس والأرق، وقلة المطعم، وكثرة السهر، ثم يتسلط على الجوارح، فتنشأ الصفرة فى البدن، والرعدة فى الأطراف، واللجلجة فى اللسان، والنحول فى الجسد، فالرأى عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحته، والدموع هواطل، والحسرات تتابع، والزفرات تتوالى، والأنفاس لا تمتد، والأحشاء تضطرم)) [٣] ، يقول يوسف بن هارون مشبها خفق قلبه بأوراق الشجر على غصن متحرك[٤] :

تولت بهم يوم الفراق مطيهم ∴ بأعجل من خفق الفؤاد وأسرع
كأن الحشا والقلب عند تذكرى ∴ لهم ورقات فى قضيب مزعزع

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى، ص١٥٨ .
(٢) ذم الهوى، ابن الجوزى، ص٣١٥ .
(٣) المصدر السابق، ص٣١٤ .
(٤) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى، ص١٥٥ .

وأكثروا من تشبيه القلب فى فقانه بجناحى طائر مستلهمين فى ذلك قول ((أحد العشاق الذين قتلهم العشق)) [١] وهو عروة بن حزام صاحب عفراء[٢] :

كـأن قطـاة علقـت بجناحهـا ∴ علـى كبـدى مـن شـدة الخفقـان

إذ يقول الهذلى الأندلسى[٣] :

ويومـا بـدارات العقيـق لـو أنـه ∴ أعيـد لـرد الشـمس عـن كـل مطلـع
لقينـا بـه فتـك النـوى وقلوبنـا ∴ قـوادم طـير فـى الحبائـل وقـع

ويقول أيضا على بن الحسين[٤] :

كـأن فـؤادى طـائر بـين أضـلعى ∴ يريـد فـرارا والجـوانح مطبـق
كـأن عـذابى حولـه شـرك لـه ∴ تنشـب فيـه فهـو للخـوف يخفـق

وكذلك ابن خفاجة الذى يقول[٥] :

فـإذا تطلـع مـن سمائـك بـارق ∴ أو طـاف زور مـن خيالـك يطـرق
خفقت لـذكرك أضـلعى فكـأن لى ∴ فـى كـل جانحـة جناحـا يخفـق

(١) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ص٣٩٤ .
(٢) المصدر السابق، ص٣٩٨ .
(٣) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى، ص١٥٥ .
(٤) المصدر السابق، ص١٥٥ .
(٥) ديون ابن خفاجة، ص٢١٢ .

ووصف الشعراء الأندلسيون أيضا سقم الجسم ونحوله، ونحول الجسم من دلائل الكمد كما ذكر ابن داود فى الزهرة[١] ، وهو من عوارض العشق التى أكثر الشعراء من ذكرها ((ولابد لكل محب صادق المودة، ممنوع الوصل إما ببين، وإما بهجر، وإما بكتمان واقع لمعنى من أن يؤول إلى حد السقام، والضنى والنحول، وربما أضجعه ذلك، وهذا الأمر كثير جدا، موجودا أبدا، والأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل)) [٢] .

يقول ابن اللبانة الدانى مشبها نفسه فى النحول بالرمق الأخير والنفس الذاهب[٣] :

هلا ثناك على قلب مشفق ∴ فترى فراشا فى فراش يحرق
قد صرت كالرمق الذى لا يرتجى ∴ ورجعت كالنفس الذى لا يلحق

ويقول ابن زيدون فى هذا المعنى طالبا من المحبوبة أن تعوده[٤] :

هلا حملت السقم عن جسم له ∴ فى كلة زرت عليك فؤاد
أو عدت من سقم الهوى إن الهوى ∴ مما يطيل ضنى الفتى فيعاد

أما ابن خفاجة فيذكر هذا النحول ضمن علامات ودلائل العشق الأخرى، فى قصيدة كثيرة المعانى العذرية يقول[٥] :

وإنى لهتز لذكراك لوعة ∴ كما اهتز فى مسرى النسيم قضيب
نحيل تهادانى الرياح فليتها ∴ شمال تهادى بيننا وجنوب
تهب بنا طورا جنوبا فنلتقى ∴ وتجرى شمالا تارة فنئوب

(١) الزهرة، ابن داود الأصفهانى، ج٢، ص٤٠٠ .
(٢) طوق الحمامة، ابن حزم، ص١١١ .
(٣) ديوان ابن اللبانة الدانى، ص٧٠ .
(٤) ديوان ابن زيدون، ص٤٥٠ .
(٥) ديوان ابن خفاجة، ص٢٩٩ .

وابن خفاجة جعل لذكر من يحب (لوعة) تجعله يهتز كاهتزاز القضيب فى مسرى النسيم، وهو يشبه قول أبى صخر الهذلى[١]:

وإنى لتعرونى لذكراك رعشة ∴ كما انتفض العصفور بلله القطر

وقد جعل الهذلى لذكر من يحب (رعشة) تشبه انتفاض العصفور حين يبلله القطر، أما عروة بن حزام فقد قال[٢]:

وإنى لتعرونى لذكراك روعة ∴ لها بين جلدى والعظام دبيب

فجعل لذكر من يحب (روعة) وجعل لها دبيبا يسرى بين الجلد والعظم.

وتأتى علامات هذا العشق عند يوسف الثالث، يقول[٣] :

وقد كنت أخفى ما أجن من الهوى ∴ فنمت بسرى صفرة ونحول
وأدمع عين يستبقن بوجنتى ∴ كما استبقت يوم الرهبان خيول

ولم يمنع الملك يوسف الثالث أن يكون عاشقا فى شعره، وبخاصة أنه عانى مرارة السجن فى أيام شبابه سنين طوالا، وعانى أيضا مرارة فقد الزوج والأبناء والأخوة[٤]، ((مما جعله ينظر إلى الحياة والناس نظرة ملؤها الحساسية))[٥].

وقد انعكست هذه الحساسية على شعره الذى تناول فيه المرأة ((فكان الغزل عنده أبعد ما يكون عن اللهو والاستمتاع،وإشباع الغرائز

---

(١) الزهرة، ابن داود الأصفهانى، ج١، ص٣٧٣ .
وقد نسب أيضا إلى المجنون إذ يقول:
وإنى لتعرونى لذكراك نفضة ∴ كما انتفض العصفور بلله القطر
ديوان مجنون ليلى، ص١٤٧ .

(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص٣٩٥ .

(٣) ديوان يوسف الثالث، ص١٩٣ .

(٤) انظر: حياة الشعر فى نهاية الأندلس، د/ حسناء بوزويتة الطرابلسى، ص١٩٧ .
وعن يوسف الثالث انظر: مقدمة ديوان ابن فركون ، محمد بن شريفة، ص١٩: ٩٦ .

(٥) المرجع السابق، ص١٩٧ .

الجنسية، بل هو مترجم عن عاطفة سامية نبيلة، تنبع من أعماق الشاعر وأنبل ما فيه من الأحاسيس وإنه لبوسعنا أن نقول إن الحب عنده امتداد لتجارب العذاب التى خاضها فى حياته))[١]، ولذا فإننا لا نجد هذه المعانى العذرية قد اقتصرت على شاعر دون غيره، أو عند طبقة دون أخرى، بل لقد تناولها معظم شعراء الأندلس فى نسيبهم الذى تبدوا فيه، لأنها طريقة فى التعبير عما فى نفوسهم تجاه محبوبة عف عشقها فى قلوبهم عن ملامستها، فعف القول فيه عن مادية الغزل، وحسيته، يقول ابن خفاجة ذاكرا انهمال دمعه شوقا ووجدا[٢] :

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا ∴ عشية غنانى الحمام فرجعا
فقلت ولى دمع ترقرق فانهمى ∴ يسيل وصبر قد وهى فتضعضعا

أما لسان الدين بن الخطيب فيصف كثرة بكائه ويبالغ فى هذا الوصف، حتى جعله أقوى وأعم من الغيث الهامى[٣] :

خليلى من سلمان بالله ساعدا ∴ فما الخل إلا مسعد ومقيل
ولا تجريا ذكر الفراق فإنه ∴ حديث على سمع الغداة ثقيل
ولا تسألا أن يهمى الغيث بالحمى ∴ فمن مقلتى غيث أجش همول

وله أيضا من قصيدة أخرى[٤] :

وما لى لا أبكى بعين قريحة ∴ على فرقة الأحباب تهمى وتهمع

وكذلك ابن فركون الذى لا يجد للصبر مكانا عنده، فيكثر من الدمع حتى النحيب، يقول[٥] :

أبان غرامى يوم بان عن الحمى ∴ وقد بان من فود الظلام مشيب
فأذهب صبرى والفؤاد وسلوتى ∴ فلم يبق إلا مدمع ونحيب
ألا فى سبيل الحب قلب مقلب ∴ مشوق لتذكار العهود طروب

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها٠
(٢) ديوان ابن خفاجة ، ١٢٨ ٠
(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب، ج٢، ص٤٨٠ ٠
(٤) المصدر السابق، الجزء نفسه، ص٦٦٥ ٠
(٥) ديوان ابن فركون، ص١٥٤ ٠

إنه العشق الذى يجعل المحبوب متوحشا من الناس وهو معهم، ولا يأنس إلا بذكر من يحب، إذ يقول إدريس بن الهيثم[١] :

ويوحشنى قرب الجميع وإننى ∴ لتأنس نفسى إن ذكرتكم فردا

ولأن العاشق مسكين كما ذكرت الأعرابية[٢] ، أكثر من التوسل لبيان ما يحسه بكل ما حوله، لأن كل ما حوله يهيج الذكرى، ويؤجج الحنين، ولذا وجدنا أنه ((قد يدخل فى النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الداثرة))[٣].

فقد وصف الشعراء نسائم الرياح الهابة، وذكروا ما تهيجه من لواعج الشوق لمن أحبوا، يقول أحمد بن فرج الجيانى[٤]:

هى الريح يسرى الشوق فى إذا سرت ∴ ويجرى لها دمعى ببحر إذا جرت
كأن الصبا مشتقة من صبابتى ∴ فأهتاج ما هاجت وأهدا إذا هدت

ويقول فى ذلك أيضا إدريس بن الهيثم[٥] :

إذا خلصت ريح إلى وقد أتت ∴ على أرضكم ألقت على كبدى بردا

وذكر الشعراء الأندلسيون البرق، إذ يقول ابن داود إن ((فى لوامع البروق أنس للمستوحش المشوق))[٦] والبرق ((من رموز الشوق الكبرى)) [٧] .

يقول يوسف الثالث[٨] :

إذا خفق القلب المروع بارقا ∴ أطلت سحاب للدموع همول

---

(١) الحدائق والجنان، الجيانى، ص٨٥ .
(٢) انظر: ذم الهوى، ابن الجوزى: ص٣١٥، وقد ذكرنا قولها سابقا، ص١١١ .
(٣) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص١٣٤ .
(٤) الحدائق والجنان، الجيانى، ص٢٢ .
(٥) المصدر السابق، ص٨٥ .
(٦) الزهرة، ابن داود الأصفهانى، ص٣١٢ .
(٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، ج٣، ص١٤٤ .
(٨) ديوان يوسف الثالث، ص١٩٣ .

وإن أومض البرق الشمالى وهنة ∴ بدت منه أشباه له وشكول
ولو أن ما بى بالجبال لزلزلت ∴ أهاضب رضوى غير أنى حمول

وفى معنى الشوق الذى يهيجه البرق، يقول أيضا ابن حمديس[١]:

وربما هاج اشتياق الفتى ∴ تألق البرق وسجع الحمام
أو نفحة تعبق من روضة ∴ تحيى من الصب رميم العظام

وقد ذكر الشعراء النار فى هذا النسيب لأنها ((مما يلحق بالبرق فى باب الشوق)) [٢] ، قال ابن هذيل[٣] :

وقفت على علياء والجزع بيننا ∴ لأنظر من نار على البعد توقد
تقوم بطول الرمح إن هبت الصبا ∴ وعند سكون الليل تهدا فتقعد

وذكروا النار لاتصالها بمعنى تلهب الشوق فى قلب العاشق إذ يقول أحمد بن فرج الجيانى[٤] :

ولي بالجزع ليل قد تمطى ∴ فما ساعاته إلا ليالى
لنار أو مضت فكأن قلبى ∴ بمثل لهيبها للشوق صالى
بعيد منتواها وهى تذكى ∴ على كبدى بقرب واتصال

ومما استعان به الشعراء أيضا أو توسلوا به فى شعرهم العفيف، أسماء معشوقات البادية، وملهمات الصحراء، وقد ذكرت فى الشعر لرمزيتها العذرية، مثل اسم (سلمى) و(سليمى) ٠

يقول ابن الحداد[٥]:

إذا شئت تنكيلا وتنكيد عيشة ∴ فحسبك أن تهوى سليمى ومهددا

ومنها (لبنى) يقول ابن الآبار[٦]:

وهل عند لبنى لو تسنى لبانة ∴ أزجى إلى ماذيها كل علقم

---

(١) ديوان ابن حمديس، ص٤٥٩ ٠
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبدالله الطيب، ج٣، ص١٥١ ٠
(٣) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى، ص١٦٨ ٠
(٤) المصدر السابق، ص١٦٩ ٠
(٥) ديوان ابن الحداد، ص١٩١ ٠
(٦) ديوان ابن الأبار، ص٣٠٢ ٠

وغيرها كثير .

وبعد ... فقد ارتبط الشعراء الأندلسيون بموروثهم التاريخى، والثقافى، والعاطفى، وتداخل عالم البادية الساحر، ومعانى الهوى العذرى بكل ما فيه مع النفس الأندلسية الشاعرة، فتعانقا، وتلاحما، وارتبطا فى محراب هذا العشق الروحى، ارتباط رموز هذا العشق، فكما لم يرد اسم جميل، أو كثير، أو قيس، وحده، كذلك لم ينفرد بالشعر العذرى أبناء البادية وحدهم، بل امتد ليشمل كل شعر تغنى فيه أصحابه بصدق المشاعر وسموها .

لذا ؛ فقد اختلج قلب الشاعر الأندلسى بمعانى العشق والهوى ووصف آلام الوجد وتباريحه، وارتسمت على ملامحه صفات العاشق الناحل الباكى، وسرت فى حنايا أضلعه رائحة الخزامى، ونسائم الصبا، وأوقد لمع البرق نار الشوق فى صدره وكأن رحلة الظعائن والحمول التى كانت تقطع الصحراء اجتازت بالمعانى العذرية حدود الحجاز، ونجد، لتدل قلوب العشاق فى الأندلس، فيتغنى بها الشعراء منهم .

المصادر والمراجع

١ - الأعشى الكبير، شاعر اللذة والحياة، د/ مفيد قميحة، دار الأوقاف الجديدة،بيروت،الطبعة الأولى١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢ - بحوث جمالية فى الشعر الجاهلى، د/ عبدالله العساف، نادى المنطقة الشرقية الأدبى، الدمام، المملكة، ١٤٢٢هـ.

٣ - بلاغة العرب فى الأندلس، د/ أحمد ضيف ، دار المعارف، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٤ - اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، د/ نافع محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٥ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتانى الطبيب، ت.د/إحسان عباس ـ دار الثقافة، بيروت.

٦ - الحب العذرى، نشأته وتطوره، أحمد عبدالستار الجوارى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٧ - الحدائق والجنان ، أحمد بن فرج الجيانى، ت.د/محمد رضوان الداية،نادى تراث، الإمارات، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨ - حديث الأربعاء، د/ طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة.

٩ - حياة الشعر فى نهاية الأندلس، د/ حسناء بوزويته الطرابلسى، دار محمد على الحامى، مركز النشر الجامعى، تونس، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٠ - دراسة فى البلاغة والشعر ، د/ محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١١ - ديوان ابن الآبار، ت: عبدالسلام هراس، مطبعة فضالة، المغرب، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٢ - ديوان الأعشى الكبير، ت.د/ حنا الحتى ، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٣ - ديوان الأعمى التطيلى، ت.د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٤ - ديوان البحترى، ت.د/ محمد التونجى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٥ - ديوان جميل بثينة، ت/ عدنان بن درويش، دار الفكر العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
١٦ - ديوان الحادرة،إملاء اليزيدى عن الأصمعى، ت.د/ناصرالدين الأسد،دار صادر،بيروت،الطبعة الثالثة١٤٠٠هـ-١٩٩١م.
١٧ - ديوان حازم القرطاجنى، ت/ عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٨ - ديوان ابن الحداد الأندلسى، ت.د/ يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٩ - ديوان ابن حمديس، ت.د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٢٠ - ديوان ابن خاتمة الأنصارى، ت.د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢١ - ديوان ابن خفاجة، ت.د/ السيد غازى، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠م.
٢٢ - ديوان ابن دراج القسطلى، ت.د/ محمود مكى، مؤسسة عبدالعزيز البابطين، الكويت، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.

٢٣ - ديوان ابن زمرك، ت.د/ محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م٠
٢٤ - ديوان زهير بن أبى سلمى، شرح: أبى العباس ثعلب، ت.د/حنا الحتى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م٠
٢٥ - ديوان ابن زيدون، ت/ على عبدالعظيم، نهضة مصر، القاهرة، إيداع رقم ٥٥٢٤/ ٨٠ ٠
٢٦ - ديوان ابن سهل الأندلسى، ت.د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م٠
٢٧ - ديوان ابن عبد ربه الأندلسى، ت/ محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان،الرياض،الطبعة الأولى١٤٢١هـ-٢٠٠٠م٠
٢٨ - ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزى، ت/ مجيد طراد، دار الكتاب العربى، بيروت ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م٠
٢٩ - ديوان امرؤ القيس، ت/ عبدالرحمن المصطاوى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م٠
٣٠ - ديوان مجنون ليلى، ت/ عبدالرحمن المصطاوى، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م٠
٣١ - ديوان ابن مرج الكحل، ت.د/ فوزى عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية، إيداع رقم: ٣٨٤٩/ ٨٩ ٠
٣٢ - ديوان المرقشين، المرقش الأكبر عمرو بن سعد، المرقش الأصغر عمرو بن حرملة، ت: كارين صادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م٠
٣٣ - ديوا ابن فركون، ت/ محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م٠

٣٤ - ديوان كثير عزة، ت/ مجيد طراد ، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٥ - ديوان ابن اللبانة الدانى ، ت.د/ محمد مجيد السعيد، جامعة البصرة، العراق، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٣٦ - ديوان لسان الدين بن الخطيب، ت.د/ محمد مفتاح، دار الثقافة ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٧ - ديوان النابغة الذبيانى، ت/ الطاهر ابن عاشور، المكتبة التونسية والشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٦م.
٣٨ - ديوان ابن هانئ الأندلسى،دار بيروت١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٣٩ - ديوان يوسف الثالث، ملك غرناطة، ت/ عبدالله كنون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.
٤٠ - الذخيرة، ابن بسام ت.د/ إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٤١ - ذم الهوى، ابن الجوزى ، ت/ مصطفى عبدالواحد، مراجعة محمد الغزالى، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.
٤٢ - رسائل الجاحظ، شرح د/ على أبوملحم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
٤٣ - الزهرة، لابن داود الأصفهانى، ت.د/ إبراهيم السامرائى، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٤٤ - شرح ديوان المتنبى، عبدالرحمن البرقوقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٥ - الشعر الأندلسى، بحث فى تطوره وخصائصه، إميليو جارثيا جومث، ت/ حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة.

٤٦ - الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، هنرى بيريس، ت.د/الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م٠

٤٧ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار ليدن، ١٩٠٢م٠

٤٨ - الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د/ محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية ١٩٨٥م٠

٤٩ - شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ت/فاروق بيضون، وكمال دسوقى، مراجعة: مارون الخورى، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٣م٠

٥٠ - طوق الحمامة فى الألفة والآلاف، ابن حزم، ت/ محمد عبداللطيف، د/ محمد عبدالمنعم خفاجى، د/إبراهيم هلال، المكتبة الحسينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م٠

٥١ - طيف الخيال، الشريف المرتضى، ت.د/ محمود حسن أبوناجى، دار التربية، المدينة المنورة٠

٥٢ - العمدة ، ابن رشيق، ت/ محمد محيىالدين عبدالحميد، دار الرشاد، الدار البيضاء، ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م٠

٥٣ - قراءة فى الأدب القديم، د/ محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨م٠

٥٤ - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت ١٣٠٠هـ٠

٥٥ - مجمع الأمثال ، الميدانى ، ت/ محمد محيىالدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م٠

٥٦ - المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبدالله الطيب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٥٧ - المفضليات، أبوالعباس الضبى، شرح أبى محمد الأنبارى، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٥م.
٥٨ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرى التلمسانى، ت.د/ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٥٩ - نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت.د/ محمد عبدالمنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٠ - يتيمة الدهر، الثعالبى، ت.د/ مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.